

تعيش في روما منذ طلاقها من زوجها ، فلما ماتت في أبريل ١٢١٣ تركت ولدها في وصاية البابوية . وكان لهذا الوضع أثره البعيد في تاريخ مملكة أرغون أيام خايمه الأول ، لأنها اعتُبرت إقطاعية تابعة للبابوية واعتُبرت حروبها مع المسلمين حروبا صليبية ، وكان البابا إنْسِنْتُ الثالث هو الذي تولى بنفسه رعاية شؤون الصبي خايمه حتى بلغ سن الرشد وتولى الملك ، وقد نذب البابا للوصاية على العرش رجلا من رجاله هو پدرو دِ بِنِفِنْتُو دِيَان كنيسته سنتا ماريادِ أكيرو ، فأقبل واستقر في لاردة وعقد هدنة مع المسلمين ، وأتاب عنه في الحكم والوصاية على خايمه سانشو دوقِ پروفنسة وكان ابناً لرامون بربنجير الرابع .

وفي سنة ١٢١٨/٦١٥ بلغ خايمه سن الرشد ولقب بالأول ، وبدأ في نفس السنة كفاحه الطويل ضد المسلمين ، فسار نحو بِنِشْكُلَه Péniscôla واستغلها ، وكانت تلك أول ما سقط في يده من توابع بلنسية . ثم حفزه نفر من تجار برشلونة ومندوب البابا ونفر من أشراف مملكته على غزو جزيرة ميورقة ، فجرد حملة من مائة فارس وألف راجل ، واعتُبرت الحملة حملةً صليبية ، وتمكن من الاستيلاء على الجزيرة بأيسر جهد في ١٤ صفر ٦٢١ / أول يناير ١٢٣٠ ، والمرجع النصرانية تذهب إلى أن الغزو تم قبل ذلك بشهر أى في منتصف المحرم / ٣١ ديسمبر من نفس السنة . وعلى سهولة هذا الفتح فقد رفع من شأن خايمه - أو « جاقم » كما يسميه ابن الأبار - إلى مصاف كبار الفاتحين ، وأصبح يلقب بالكونكيستادور أى الفاتح . ولم تسقط الجزيرة كلها يسقوط قاعدتها ، إذ استمرت الحرب هناك سنوات تم خلالها القضاء على كل مقاومة .

وعقب ذلك مباشرة اتجهت أنظار خايمه نحو بلنسية ، وقد حرضه على هذا أوجو فولكالكير Hugo Folcalquer رئيس فرسان الداوية في مملكة أرغون ونفر من الأشراف ، فسار نحو منطقة بلنسية في سنة ١٢٣٢ (٦٣٠ -

٦٣١ هـ) : واستولى على آره Ares ثم مرَّه Morella في نفس السنة :

وفي شوال ٦٣٠/ يوليو ١٢٣٣ استولى على بُريانة Burriana بعد حصار بالبر والبحر ، ثم أعاد إخضاع بنشكله وبُولبِش Polpes وقسطليون Castellón ويريول Borriol وكويثاس Cuevas وبين رومان Vinromá وألقلوطن Alcaluten وبيلافورنس Vilafornés ووصلت غارته إلى ضفاف نهر شقر وناحية البلاط Albalate . وفي سنة ٦٣٣/ ١٢٣٤ استولى على مُصاراة بلنسية ، وفي العام التالي حاول الاستيلاء على قَلْيَاة Cullera دون نجاح ولكنه ملك حصنين يشرفان على بقاع بلنسية هما مُنكاده Montcada ومُشروس Museros .

وبعد ذلك بثلاث سنوات ، أى في سنة ١٢٣٨ (٦٣٦ - ٦٣٧) ضرب معسكره بين بلنسية وقرية مجاورة لها تسمى جراو Grau وعول على الأيريم حتى يستولى على البلد . وتدفقت إليه النجادات من شتى البلاد التابعة له ، بل أقبل لعونه مقاتلون من نربونة ونفر من فرسان قشتالة .

ويغلب على الظن أن ذلك الموضع الذى ضرب الملك خايمة معسكره عنده هو جبل أنيشة أو أنيجة الذى يسميه ابن عبد المنعم الحميرى عقبة أنيشة ويسمى في النصوص الإسبانية إلبوبش el Puig وتقوم عليه قرية تحمل نفس الاسم ، وتقع هذه العقبة على ٢٠ كيلومتراً شمالى بلنسية في الطريق إلى مريبطُرُ التى تعرف باسم سَجُونتو Sagunto . وأحس أبو جميل زيان بالخطر الدايم ، وانتهز فرصة ابتعاد الملك خايمة عن معسكره ، فخرج في جمع عظيم من مقاتلى بلنسية فيهم نفر من الشيوخ والفقهاء ، ودارت بين الجانبين معركة عنيفة : وقد استبسل البلنسيون في القتال ، ولكن أعداءهم أداروا عليهم خدعة كبيرة ، إذ أقبلت طائفة منهم من بعيد حاملة راية الملك وأشاعت أنه عاد بجيش كبير ، ففت ذلك في عضد المدافعين عن بلدهم وأيقنوا بالهزيمة وأخذ الكثيرون في الفرار . وفي هذه الفوضى استشهد من المسلمين كثيرون من بينهم أبو الربيع

سليمان بن سالم الكلاعي ، وكان قد بلغ السبعين من عمره ، ولكنه بقي في الميدان إلى آخر المعركة ، وظل يثبّت الناس ويدعو الفارين إلى العودة حتى قتل ، وكان ذلك في ٢٠ ذى الحجة ٦٣٤/١٣ أغسطس ١٢٣٧ . وكانت تلك آخر محاولة كبيرة قام بها البلنسيون لإنقاذ بلدهم .

ولم يحضر ابن الأبار هذه الواقعة ؛ إذ لو حضرها لقال ذلك ، فقد ذكرها في « التكملة » وفي « الحلة » . وأحس أبو جميل زيان أنه لن يستطيع الثبات وحده ، فقرر إرسال سفارة إلى أبي زكريا الحفصي صاحب إفريقية (تونس) وندب لها ابن الأبار ، وتلك هي السفارة التي أشد فيها ابن الأبار قصيدته المشهورة :

أدركُ بجيالك ، خيل الله ، أندلساً . إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهي قصيدة طويلة فيها من التكلف ما يكاد يصرف قارئها عن الحال
المحزن الذي قيلت فيه ، ولكنها على أي حال حققت الهدف من إنشادها ،
فقد تحمس أبو زكريا وأرسل إلى بلنسية بضع سفن مشحونة بالمال والعتاد
والزاد .

وكان خايمة قد ضيق الحصار حول بلنسية في أثناء ذلك ، ووصل الأسطول الحفصي وحاول النزول في موضع جراو قرب بلنسية في ٤ محرم ٦٣٦ / ١٨ أغسطس ١٢٣٨ ، ولكنه وجد الموضع حافلاً بجند النصارى فأرسل قائده الحملة أبو يحيى بن أبي حفص عمر الهنتاقي المعروف بالشهيد إلى أبي زكريا الحفصي يعلمه بالحال واتجه هو بالسفن إلى دانية وأرسي فيها في ١٢ محرم ٦٣٦ / ٢٦ أغسطس ١٢٣٨ وترك لأهلها الطعام والسلاح اللذين كان يحملهما ، أما المال فقد عاد به إذ لم يجد من يقبله منه . ومن الغريب أن أبا بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب الذي سترجم له ابن الأبار في الحلة بايع لنفسه على مرسية في نفس اليوم الذي وصل فيه الأسطول الحفصي إلى جراو ولقب نفسه بضياء السنة وعلى مسافة قصيرة منه بلد إسلامي يحتضر ! ولو في هذا الرجل ومن حوله

من السنة أثاره لحف لنجدة إخوانه ، ولكن إلى هذه الحال من سخف العقول وصل الناس في تلك الأيام ، والدول لا تسقط عن قلة عدد وإنما عن سقوط الهمم وضباع النخوة وموت الإحساس . ومما يستلفت النظر ويدعو إلى الاعتبار أن لسان الدين بن الخطيب سخر من ابن خطاب هذا وقال إنه قبل الإمرة بمرسية « مع قطع صبي المهدي ورضيع الثدي بسوء عقبي من يتحمل ذلك يومئذ » ، وابن الخطيب ذاته سيرج بنفسه مهالك ومعاطب ومطامع يقطع نفس « صبي المهدي ورضيع الثدي » بسوء عقباها ، ومع هذا لم يذكر ولم يتعظ ، وانتهى بنفسه إلى مصرع شبيه بمصرع ابن خطاب .

ويذهب ابن الخطيب إلى أن الحصار طال حتى « نفذت الأقوات واستولى الجوع وضعفت القوى وأكلت الجلود والزقوق » ، والواقع أن الحصار لم يطل حتى بلغت الحال هذا المبلغ ، ولكن القتال كان ضارياً عنيفاً وخاصة بعد معركة أنيشة ، ثم إن فرقا من فرسان أرغون كانت لا تكف عن الغارة على البلد وانتساف ما حوله من معسكرها عند عقبة أنيشة ، وكانت أعدادهم تزايد يوماً بعد يوم حتى أصبح معسكر ملك أرغون كأنه مدينة كبيرة خف إليها التجار من كل صوب ، وقد أتى بعضهم من مونبلييه ، وأخيراً استقر رأي أبي جميل زيان على التسليم ، وتم ذلك في ١٧ صفر ٦٣٦ / سبتمبر ١٢٣٨ ، وقد اشترك ابن الأبار في المفاوضات وكتب بنفسه العقد كما حكى في « الحلة » ، وقد نص الاتفاق على أن يغادر من أراد من المسلمين بلده خلال ٢٠ يوماً بأمواله وأسبابه ، « وابتدئ بضعفة الناس ، فسيروا في البحر إلى نواحي دانية ، واتصل انتقال سائرهم برأ وبحراً ، وصبيحة يوم الجمعة ١٧ من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه ، وعند ذلك استولى عليها الروم » .

استقر أبو جميل زيان وابن الأبار معه في دانية ، ويبدو أن ابن الأبار حاول أن يجد عملاً عند بعض الرؤساء فيما بقي من مدن الأندلس ، فقد أورد

المقرى في «أزهار الرياض» رسائل منه إلى بعضهم (٢١٦/٣-٢٢١) ، ولكنه لم يوفق ، فعول على مفارقة الأندلس جملة إلى إفريقية والتماس الأمان بلد ذاع له فيه صيت منذ زيارته الأولى ، وقد فعل فعله أبو المطرف بن عميرة وأبو الحجاج يوسف البياسي وغيرهم كثيرون ، ولم يكن الأندلس قد ضاع كله ولا انقطع منه الرجاء ، ولكن هكذا كان تصرف الكثير من علمائه وقادة السياسة والرأى فيه : نجوا بأنفسهم مخلفين الصغار والضعفاء وأهل الأرياف والمدن ، وهناك في ظلال الأمن والدعة طفقوا يكتبون مرأى ثرية أو شعرية يعبرون فيها عن أسف متكلف ، وليس هناك أبعد عن الصدق من هذه المكاتبات المنظومة أو المنثورة بين ابن الأبار وأبي المطرف بن عميرة في رثاء بلنسية .

أما أبو جميل زيان فقد تمهد له الأمر في دانية ، ولكن الملك خايمة اتجه إلى الجنوب فاستولى على كندية Gandía فخاف أبو جميل وأرسل إليه يعرض تسليم لَقَنْتُ Alicante في مقابل تنازل الملك عن جزيرة ميورقة ، فرفض خايمة لأن الاتفاق كان قد تم بينه وبين ملك قشتالة على أن تكون بلنسية آخر ما يستولى عليه من بلاد المسلمين ، والباقي من نصيب قشتالة . ثم حاصر شاطبة حصاراً قصيراً وأقلع عنها عائداً إلى مونبلييه .

وأقام أبو جميل رئيساً لدانية ، وما زال يدبر وهو فيها لرئيس مرسية أبي بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب ، حتى ثار به الناس وبايعوا الأبي جميل ، ثم قُتل ابن خطاب في رمضان سنة ٦٣٦/أبريل ١٢٣٩ فأصبح أبو جميل رئيس دانية ومرسية ، وظل في الأولى حتى سار فارس ألماني اسمه Carroz ممن كانوا يعملون في خدمة الملك خايمة فانترعها منه سنة ٦٤٢/١٢٤٤ . وأما مرسية فقد ظل أميراً عليها داعياً للخليفة العباسي ، ثم دخل في طاعة محمد بن يوسف ابن نصر بن الأحمر ، وظل على هذا وقتاً قصيراً ، ثم بدا لابن الأحمر فعزله عنها ، فتركها ومضى إلى تونس حيث عاش بقية عمره .

أما هذا الاتفاق الذي أشرنا إليه بين ملكي أرغون وقشتالة فقد تم في بلدية تسمى الميرسي Almirza من أحواز بلنسية في ٢٥ مايو ١٢٤٤ (ذى القعدة ٦٤١) وهو يدل على أن الاستيلاء على ما بقي من قواعد المسلمين في شرق الجزيرة لم يعد حرباً بل تقسماً ، هذه لهذا وتلك لذلك ، وأدهى من ذلك أن هذا الاتفاق تم بينهما توثيقاً لمصاهرة عقداها ، فقد اتفقا على أن تزوج الأميرة فيولانت ابنة خايمة الأمير ألفونسو بن فرناندو الثالث ملك قشتالة ، ونص الاتفاق على أن تكون شاطبة جزءاً من شوار العروس ، ولم تكن شاطبة قد سقطت بعد ! وبعد مناوصات طويلة كادت تؤدي إلى الحرب استقر الملكان على اتفاقية المرسى هذه ، وقد نصت على أن يعطى خايمة لصهره بيانة Villena وساش Sax وكاوديت Caudete و'بغرس' Bugarras وأن يتنازل ملك قشتالة عن إنغيرة Enguera وموشنت Mogente ، وأن تكون بلنسية وتوابعها من نصيب أرغون ، ومرسية وتوابعها وما يليها جنوباً من نصيب قشتالة ، ووضع حد فاصل بين الناحيتين ، فتبعت مرسية بلاد المنزل Almansa وسرذول Sarazul وحوض نهر كبرينول Cabrinol ، وتبعت بلنسية بلاد قسطلة Castalla وأبيار Biar وريو Relleu وسثونة Saxona والأرثش Alarch وفينسترات Finestrat وطرش Torres وبولوب Polop ومواله Muela ، وكلها مواضع صغيرة بين حوضي نهرى شقر Jucar وشقورة Segura .

وقد انتقد مؤرخو قطلونية ذلك الاتفاق وقالوا إنه أخرج مملكة أرغون من ميدان الحرب مع المسلمين وأفضل في وجهها سبيل التوسع جنوباً على حسابهم ، ولكن خايمة الأول كانت أمامه مشاكل كثيرة في بلاده المترامية ، ولم يكن يستطيع المضي في حرب المسلمين إلى أكثر مما مضى ، ثم إن مرسية وما يليها جنوباً كان أمرها استقر بعض الشيء بعد قيام أبي جميل زيان بالأمر فيها وبيعته للخليفة العباسي ودخوله في طاعة محمد بن يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة ، وكان مركز هذا قد استتب وأصبح قادراً على مواصلة

الحرب للدفاع عن كيانه ، وكان ابن الأحمر إلى جانب ذلك تابعاً لملوك قشتالة ، فلم تكن مواصلة الحرب معه بالأمر اليسير ، ومهما يكن من الأمر فقد ختم خايمة أعماله في هذه الناحية بالاستيلاء على شاطبة في أبريل ١٢٤٨ (محرم ٦٢٦) ليقدمها في شوار بنته بعد ذلك .

* * *

ابن الأبار في إفريقية

غادر ابن الأبار إذن بلاد الأندلس قاصداً بلاد الحفصيين ، ويذهب المغربي إلى أنه ذهب أولاً إلى بجاية « ودرس بها وأقرأ وروى وسمع وصنف وألف ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي ليكتب له » . ويبدو أن إقامته ببجاية كانت قصيرة ، لأنه يذكر في ترجمة نذير بن وهب بن لب أن هذا الأخير توفي في العشر الأوسط من شعبان ٦٣٦ / مارس ١٢٨٩ « بعد ستة أشهر من الحادثة على بلنسية ، وأنا حينئذ بمحضرة تونس في توجهي إليها » أي أنه أقام ببجاية ثلاثة أشهر أو أربعة انتقل بعدها إلى تونس ليكون كاتب المستنصر الحفصي .

وتذهب المراجع إلى أنه تولى كتابة الإنشاء والعلامة ، و « العلامة » هي عبارة التوقيع التي تضاف إلى المكاتبات السلطانية وترفع إلى السلطان ليضع عليها خاتمه ، ويقال إن ابن الأبار كتب العلامة فترة من الزمن وكان يكتبها بخطه المغربي ، ولكن السلطان أبا زكريا يحيى زغب في أن تكون بالخط المشرقي ، ولهذا أمر بأن يكتب ابن الأبار بإنشاء المكاتبات ويدع العلامة لأحمد بن إبراهيم الغساني ، وكان يحسن الكتابة بالخط المشرقي ، فغضب ابن الأبار لذلك واستمر يكتب العلامة على ما ينشئه من رسائل ، فعوتب في ذلك وروجع ، فاستشاط غضباً ورمى القلم من يده وأنشد :

اطلب العز في لظي وذر الذل (م) ولو في جنان الخلود
وُحل الخبر إلى السلطان ، فصرفه عن العمل وأمره بلزوم بيته .

هكذا نجد الخبر في كل مراجعنا على طريقتها في تحليل الحوادث

تعليقات سطحية ظاهرة التكلف ، والحقيقة أن ما جرى لابن الأبار كان حلقة من حلقات الصراع بين الأندلسيين المهاجرين وشيوخ تونس من موحدين وغير موحدين ، بل حلقة من صراع هؤلاء المهاجرين الأندلسيين مع شيوخ كل قطر نزوله وعلماؤه . فقد كان الأندلسيون يحسون أنهم أعلم من غيرهم وأقدر ، ومن ثم فهم أولى بالتكريم وبالمناصب . ثم لأنهم كانوا يتوقعون ممن نزلوا عليهم مراعاة وعطفاً عليهم مواساة لهم فيما أصابهم في بلادهم . أما أهل المغرب وتونس ومصر وبقية أهل المشرق فكانوا يرون أن أولئك المهاجرين أولى بأن يتواضعوا ويقنعوا بما وجدوا في أوطانهم الجديدة ، ثم لماذا يطلبون أن يمتازوا على غيرهم ما داموا قد أصبحوا مواطنين في البلاد التي نزلوها ؟ هذا كان مدار الخلاف الحقيقي ، نلمحه في صور شتى في تراجم الأندلسيين الذين هاجروا إلى بلاد إسلامية بعد ضياع بلادهم ، ويندر أن تقرأ لواحد من أولئك الأندلسيين شيئاً إلا لمسنا فيه المرارة التي نشأت عن خيبة الرجاء في المهجر ، وأمثلة ذلك كثيرة عند علي ابن سعيد وأبي الخطاب بن دحية وأثير الدين أبي حيان وأبي بكر الطرطوشي وابن خلدون والمقرئ وغيرهم .

ولكن الخلاف بين الأندلسيين والبلديين كان أوسع مدى وأبعد أثراً في تونس عاصمة الحفصيين ، فقد كان عدد من نزلها من الأندلسيين عظيماً ، وكان الكثيرون منهم سلاثل أسر عريقة لها في تاريخ الأندلس السياسي والعلمي أثر بعيد ، وقد ذكرنا أبا المطرف بن عميرة وأبا الحجاج البياسي ويضيف ابن خلدون أبا مروان أحمد الباجي من أعقاب أبي الوليد وأبا عمر ابن الجلد من أعقاب أبي بكر بن الجلد وغيرهم . وكان هؤلاء يتجمعون عصبة واحدة على العلماء من أهل البلد ومشايخ الموحدين يحاولون الاستئثار من دونهم بالوظائف الكبرى ومراتب الشرف ، وفي أيام أبي زكريا يحيى الحفصي تجمع هؤلاء حول عمه أبي القاسم بن أبي زيد وكان رجلاً طامحاً إلى السلطان لا يفتنى مطامعه ، وكان له مع أبي زكريا أخبار ووقائع ، ومن

ثم فقد كان الشك يحوم حول الأندلسيين ، وكانت الواقعة فيهم تجد أذناً صاغية من هذه الناحية .

وقد حرص معظم من ذكرنا من مهاجرة الأندلسيين على أن يتعدوا عن السياسة ما أمكن ، وانصرفوا إلى العلم أو غيره من المشاغل التي لا يثير الاجتهاد فيها مخاوف أولى السلطان ، ولكن ابن الأبار لم يستطع سلوك هذا السبيل ، فقد كان بطبعه رجلاً طموحاً إلى السلطان والجاه وعرض الدنيا ، ولو رجل "غيره حوى في صدره من العلم ما حوى لحمد الله على الأمان الذي صار إليه والكرامة التي لقيها وانصرف إلى التأليف والإقراء ، ولكن سوء طالع غلب عليه ، فقد كان إلى طموحه وطمعه سريع الغضب حديد اللسان تصدر عنه المساءة وكأنه لا يشعر ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما وصل إلى إفريقية نزل في ميناء بنزرت ، وكتب إلى أبي عبد الله بن أبي الحسين وزير أبي زكريا الحفصي ينبئه بمجيئه ويمت إليه بصلة صداقة قديمة بدأت عند ما زار ابن الأبار تونس في المرة الأولى ، وكان يحسب أن والد الوزير متوفى فنتعته في الخطاب بالمرحوم ، فنبهوه إلى أنه في قيد الحياة ما يزال ، فضحك وقال : « إن أباً لا تُعرف حياته من موته لأبٌ خامل » ، ولم تعدم هذه الكلمة من يحملها إلى الوزير - طبعاً - فألته ، وتحدث إلى السلطان في أن يستقر ابن الأبار في بجاية ، وفعلاً ذهب ابن الأبار إليها وأمضى فيها بضعة أشهر ثم استقدمه أبو زكريا إلى تونس وألحقه بخدمته .

ولم يقلع ابن الأبار عما جبل عليه من إيذاء الناس بلسانه ، ويبدو أنه كان ممن ينزفون الآخرين بالكلام القارص أو النقد المهين في خفية وتستر حاسبين أن أمرهم لا يفتضح ، وأمرهم في الحقيقة لا يخفى على أحد ، ومن هنا لقبه خصومه بالفأر ، ويغلب على الظن أن وجهه كان صغيراً نحيلاً ومن هنا قال فيه أحد خصومه وهو أبو الحسن علي بن شلبون المعافري البلنسي :

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع مع الناس صادرةً من الأبار
أو ليس فأراً خليقةً وخليقةً ؟ والفأر مجبول على الإضرار

فأجاب ابن الأبار سريعاً :

قل لابن شلبون مقالَ تنزهٍ : غيرى يجاريك الهجاءَ ، فجارٍ
إنا اقتسمنا خطيتنا بيننا فحملتُ برةً واحتملتُ ، فجارٍ !
ثم إن ابن الأبار كان شديد الاعتداد بنفسه دائم الفخر بالأندلس
وتفضيله على إفريقية ، قال ابن خلدون : « وكان في ابن الأبار أنفة وبأو
موضيق خلق » ، ومن هنا زهد فيه أبو زكريا الحفصي وأراد أن يبعده
عن ديوانه ، وأيده في ذلك أبو الحسين أحمد بن إبراهيم الغساني ، فتعلل
السلطان بحكاية خط العلامة هذه حتى لا يراه ، إذ كان صاحب العلامة
يعرض الكتب عليه ، ولكن ابن الأبار لم يفهم ، وأصر واستمسك ،
ثم ذهب به الغضب إلى التمثل بالبيت الذي يفضل فيه العز في اللظى على الذل
في جنان الخلود ، ولم يكن هذا منه إلا تشدقاً بألفاظ ، فلو كان في الحقيقة
ممن يفضلون العز في اللظى لأقام في الأندلس ، فهناك فعلا كان اللظى في
الحروب التي لا تسكن وهناك أيضا كان العز في ظلال السيوف .

وليت ابن الأبار استمسك بهذه العزة بعد أن أبعد وأزيم داره !
بل سعى سعيًا حثيثاً في العودة إلى الذل في جنان السلطان ، بل أنفق الوقت
في رسالة استعطاف طالت حتى صارت كتاباً هو « إعتاب الكتاب » تذلل
في فاتحته فأسرف في التذلل ، ثم أخذ يقص حكايات كتاب سبق إليهم
غضب السلاطين ثم حلت بهم نعمة الرضا فأعتبوهم . وقد استشفع ابن
الأبار بولي العهد أبي يحيى زكريا ، وكان في أيام أبيه شاباً مستضعفاً دائم
الخوف من إخوته محمد وإبراهيم وعمر وأبي بكر (وكلهم ولي بعده)
ومن أبناء عمه محمد بن عبد الواحد المعروف بالحياني لعظم لحيته ، ولهذا
كان حريصاً على أن يكسب لنفسه أنصاراً يشدون أزره ، فسرّه أن يستشفع
به ابن الأبار فكلّم أباه في أمره فأعاده إلى الرضا .

وشاءت الأقدار أن يموت أبو يحيى زكريا هذا قبل موت أبيه بسنة
واحدة (٦٤٦ / ١٢٤٨ - ٤٩) وأن يصير الأمر بعد ذلك إلى أبي عبد الله

محمد ثاني أولاد أبي زكريا ، وهو الذى عرف بالمستنصر أو المنتصر ، وظل ابن الأبار فى عمله ولكنه استمر على دأبه فى تنقص الناس وخاصة أبي الحسين أحمد بن إبراهيم الغسانى ، وكان قد أصبح وزير المستنصر ، فاجتهد هذا حتى أصدر السلطان أمره بإبعاد ابن الأبار إلى بجاية ؛ فذهب إليها وانصرف إلى التأليف فترة من الزمن أنجز فيها كتاب « التكملة » الذى كان قد بدأه فى الأندلس ؛ وهذه الإقامة فى بجاية هى التى أتاحت للغبرينى فرصة الترجمة لابن الأبار ضمن من حل من العلماء ببجاية ، وهى أحسن وأوفى ترجمة له بين أيدينا .

وفى هذه الفترة أيضا نعتقد أنه أتم كتاب « الحلة السيرة » ، ومن المقطوع به أنه بدأ يكتبه فى تونس عقب استقراره فيها ، فهو فى فاتحته يتحدث عن شعر للسلطان أبي زكريا يحيى وولى عهده أبي يحيى ، وكانا يقرضان الأبيات منه بين الحين والحين ، وقد صنفه ابن الأبار تمجيذاً لشاعرية السلطان وابنه وتديلا على أن قول الشعر من خصال كبار الخلفاء والسلاطين والأمراء ، فهذا الكتاب ، مثل « إعتاب الكتاب » ، كتاب مناسبة ، ولكنها كانت مناسبة سعيدة ، لأنها أتاحت الفرصة لهذا الحافظ الواعى ليسجل شيئا من محفوظه الغزير . وفى الكتاب إشارة إلى أنه كان ما زال مشغولا بكتابته سنة ٦٤٦/١٢٤٨ - ٤٩ وهى السنة التى توفى فيها ولى العهد أبو يحيى ، وربما يكون قد أتمه قبل وفاة أبي زكريا ، ولكن العجلة التى تبدو فى الباب الأخير من الكتاب تدل على أنه أتمه بعد هذه السنة بمدة قصيرة ، وفى الغالب أيام إقامته الثانية فى بجاية .

ولا ندرى كيف وفق ابن الأبار إلى رضى المستنصر ، ويبدو أن ذلك كان نتيجة لرسائل مديح كتبها من بجاية يشيد بالمستنصر وأعماله ، وقد أورد المقرئ فى « أزهار الرياض » رسالة لابن الأبار بمناسبة تمام حفر القناسة المؤدية إلى الحدائق التى أنشأها أبو زكريا الحفصى خارج تونس ، والرسالة

تدل على أن ابن الأبار كتبها من بعيد وأرسلها إلى السلطان . ولم تكن حال ابن الأبار في بجاية سيئة ، فقد لقيه هناك على بن سعيد المغربي ؛ وقال بعد أن أشار إلى سنيته وتوفيقه فيها وإعجاب الناس بها : « إلا أن أخلاقه لم تعينه على الوفاء بأسباب الخدمة ، فقلصت عند تلك النعمة ، وأختر عن تلك العناية ، وارتحل إلى بجاية ، وهو الآن بها عاطل من الرتب ، خال من حل الأدب ، مشتغل بالتصنيف في فنونه ، متنقل منه بواجبه ومسئولته ، ولى معه مجالسات آتق من الشباب ، وأبهج من الروض عند نزول السحاب . . . » (القدح الملقى ، برواية المقرئ ، ٤ / ٢٨٢)

وعاد ابن الأبار من بجاية إلى تونس ، ومن حسن الحظ أنه أنهى هناك كتابيه الرئيسيين « التكملة » و « الحلة » ، والغالب أنه ترك نسخاً من هذا وذاك هناك ، فنجوا الكتابان من الدمار . وكان حرياً بابن الأبار بعد ذلك أن يلين خلقه ويضبط لسانه ويخفف من دعواه ، ولكنه مضى على سابق عهده من الكبرياء وحدة اللسان ، وربما كانت هذه دعوى من خصومه الكثيرين وخاصة أحمد بن إبراهيم الغساني وزير المستنصر الأثير عنده ، ولم يكن الغساني ليطمئن له جنب وابن الأبار قريب من السلطان يستطيع الوصول إليه إذا أراد ، وكان المستنصر رجلاً كثير المخاوف يتوقع الشر من كل ناحية إذ أن أعداءه والمدبرين عليه كانوا كثيرين ، وكان ابن الأبار قبل ذلك من أتباع أخيه المتوفى ، فلم يكن هناك أيسر على الغساني من اتهام ابن الأبار بالتدبير على الدولة ، فيحل بذلك دمه للسلطان ويفرغ منه بأهون سبيل .

نقول هذا لأن عقوبة القتل التي أنزلها المستنصر بابن الأبار لا يمكن أن تعلق بما يقال من أنه سمع السلطان مرة يسأل عن مولد ولده أبي زكريا يحيى الذى تولى السلطة بعده وتلقب بالوائق ، فجاء ابن الأبار فى اليوم التالى برقعة فيها تاريخ الولادة وطالعتها ، ويضيف بعض مؤرخينا أن هذا

الطالع كان نحساً ، فاستشاط السلطان غضباً من فضوله وتطفله ، وكان ذلك سبب حتفه ؛ نقول إن ذلك كله لا يفسر لنا غضب المستنصر على ابن الأبار غضبا يؤدي به إلى قتله ثم إحراق شلوه وكتبه ، فهذا التصرف لا يصدر عن غضب بل عن خوف ، وأصحاب السلطان في تلك العصور لم يكونوا يقتلون إلا لخوف على أنفسهم وعروشهم ، أما ما عدا ذلك فيمكن في الإبعاد أو السجن أو المصادرة وما إلى ذلك .

ولهذا فلا بد أن التهمة التي دبرت لابن الأبار كانت تهديد السلطان أو الاشتراك مع نفر في ذلك ، لأننا حتى لو فرضنا أن ابن الأبار قال بيت المهجاء الذي تنسبه إليه المراجع ، فإن ذلك لا يبرر الحقد الذي ظهر من المستنصر . ولا بد كذلك أن السعاية به بدأت منذ عودته من بجاية إلى تونس ، فقد كان السلطان لا يطبق النظر إليه ، فكان يستفتيه فيما يريد من بعيد ، فإذا دخل عليه لم يكلمه أو يلتفت إليه ، وكان ابن الأبار « يشكو من ذلك ويتألم ويعنى على الزمان سوء حظه :

علت سني وقلدي في انخفاض
وحكم الرب في المربوب راض
إلى كم أسخط الأقدار حتى كأي لم أكن يوماً براض »

ثم نجىء النهاية إثر حادثة مولد ولي العهد وطالعه التي ذكرناها ، ويذهب ابن خلدون بعد ذكرها إلى أن وشايات الحساد أوغرت صدر السلطان عليه وأوهمته أنه يتوقع المكروه للدولة وتهمه بالنظر في النجوم ، فقُبِض عليه وقام الكاتب أحمد بن إبراهيم الغساني بالبحث في داره وكتبه ودفاتره ، فعثر فيها على بيت شعر يقول :

طغى بتونس خلكف سموه ظلاماً خليفة

وعثر عنده أيضاً على كتاب في التاريخ فيه ما يسيء إلى السلطان ، فأمر بضربه بالسياط وقتله وإحراق مؤلفاته ، فقتل ضرباً بالرماح صبيحة

الثلاثاء ٢١ من المحرم سنة ٦٥٨ وأحرق شلوه ، وأخذت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقته معه ، وكأنت نحواً من خمسة وأربعين تأليفاً (تاريخ الدولتين للزركشى ، ص ٢٧)

والحق أن الإنسان ليدهش من قسوة ذلك العقاب الذى أنزل بآبى الأبار ، فمثل هذه العقوبة ما كانت تنزل إلا بأعداء السلاطين ذوى الخطر ، أو الذين ناوأوهم وحاربوهم وكادوا يقضون عليهم ، ولا تتصور مهما ذهبنا مع الخيال أن آبى الأبار بلغ هذا المبلغ فى كراهة المستنصر والتدبير عليه ، ولكن الذى لا شك فيه أن الوشاية فى حقه صورته فى تلك الصورة ، فكانت النتيجة هلاكه على أبشع هيئة نتصورها ، وهذه واحدة من جرائم أولئك السلاطين ووزرائهم ممن حملوا فى رقابهم من أوزار المساكين ودماء الضحايا ما يصممهم إلى الأبد فى حساب الأخلاق وحساب التاريخ .

عاش آبى الأبار ثلاثاً وستين سنة هجرية ، اثنتان وأربعون منها فى الأندلس والباقي فى المغرب ، ولم يسعد فى هذا ولا ذلك ، فأما فى الأندلس فقد عاش مروع السرب يحوم فوقه شبح الموت فى كل حين ، وكتب لرجال لولا سوء الزمان لما كان لهم إلى الإمارة سبيل ، ومدح غيرهم ممن لا يستحقون مجرد الذكر فضلاً عن المديح ، ثم فقد وطنه وخرج بما حملت يده إلى المغرب حيث تلقفه الأعداء وأعانهم على نفسه بسوء خلقه وتطلعه إلى الوظائف والجاه ، فلم يسعد فى وطنه الجديد ولا هداً باله ، وانتهى أمره إلى هذه النهاية الفاجعة ، ولا عجب أن يلقبه بعض المؤرخين بالشهيد ، وهذه الشهادة لا تحق له لموته مظلوماً فحسب ، بل لأن حياته كلها كانت استشهاداً طويلاً على يد الأيام .

مؤلفات آبى الأبار

ألف آبى الأبار كتباً كثيرة ، أحصى معظمها بروكلمان والمرحوم عبد العزيز عياد الحميد فى كتابه عن آبى الأبار والأستاذ إبراهيم الإيبارى فى

مقدمته للمقتضب من تحفة القادم والدكتور صالح الأشر في مقدمة تحقيقه لإعتاب الكتاب ، وفي ثبت الكتب الوارد في آخر تحقيقنا هذا ذكر كتب أخرى لابن الأبار ، وله رسائل وأشعار كثيرة أورد الكثير منها من أروخوا له وخاصة المقرئ في « نفع الطيب » و « أزهار الرياض » والغبريني في « عنوان الدراية » .

والناظر في أسماء كتبه التي ضاعت - وعددها ٣٩ - وكتبه التي وصلت إلينا - وعددها ستة - يلاحظ أنها في ثلاثة فنون : الحديث والأدب والتاريخ . فأما كتبه في الحديث فلم يصل إلينا منها شيء يعينه على تقديرها قدرها الصحيح بين كتب هذا الفن ، وربما كان أهمها هو « المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح » ، فقد كان معاوية هذا من أوائل فقهاء الأندلس وقضاةها ، وقد ذكره ابن سعد في طبقاته وأثنى عليه ومن ثم فإن أحاديثه تعتبر من العوالي ، وطالما تأسف من جاء بعده من الأندلسيين على ضياع أحاديثه وعلمه .

وأما كتبه في الأدب فلم يبق منها إلا مقتضب تحفة القادم الذي عمله البلفيقي ، وهو مختصر سبئ الصنع ، استغنى البلفيقي فيه عن معظم النثر ولم يبق إلا هيكلها جافاً يتكون من أسماء وبضعة أشعار ، وهذه لا تعين على تقدير ابن الأبار بين أصحاب كتب الأدب .

أما ميدان ابن الأبار الحقيقي فكان التاريخ والتراجم بصورة خاصة ، وكتبه الأربعة الباقية في هذا الفن تشهد بملكة عظيمة في هذا الميدان ، ولا تتجلى هذه الملكة في كتاب كما تتجلى في « الحلقة السراء » وهو غرة كتبه دون جدال ، ولا ابن الأبار فيه لمحات وإشارات واستدراكات تدل على أنه كان مؤرخاً حقاً عارفاً بتاريخ الإسلام حافظاً له قارئاً لكتبه ، وهو يستدرك فيه على نفر من أئمة المؤرخين أخطاء لا يتنبه لها إلا عالم متمكن ذو ملكة واعية .

وقبل أن نفرغ لكتاب الحلة نقف وقفة قصيرة عند كتابي « التكملة
لكتاب الصلة » و « المعجم في أصحاب أبي علي الصدقي » .

واضح أن « المعجم » كتب قبل « التكملة » ، كتبه ابن الأبار بعد أن
نضج تكوينه العلمي ، ونظن أن ترتيبه الزمني بين مؤلفاته يجيء بعد « معدن
اللجين في مرآة الحسين » ، فقد أشار إلى هذا الكتاب في كتبه التالية ،
وموضوع « معدن اللجين » - كما يدل عليه عنوانه - من تلك الموضوعات
التي تستهوي أفئدة الشباب بسبب غلبة العاطفة عليهم ، وقد كان ابن الأبار
طالبياً ، ولكنه لم يكن شيعياً ، فإن الطالب هو الذي يميل بعواطفه إلى أهل
البيت ويأسى لما أصاب الكثيرين منهم أسى عاطفياً ولا يتعدى ذلك ،
ومعظم كبار مؤرخينا على هذا الاعتبار طالييون ، وأما الشيعي فهو الذي
يتبع مذهب الشيعة ويميل عن السنة ، وقد ذهب المقرئ إلى أن كتاب
« در السمط في خبر السبط » تشتم منه رائحة التشيع ، وقد بالغ في هذا
الوصف ولا شك ، فإن الكتاب بين أيدينا وليس فيه إلا هذه العاطفية
البريئة التي نجدها عند المقرئ مثلاً .

وكتاب « المعجم في أصحاب أبي علي الصدقي » كتاب فريد في نوعه
من بين ما وصل إلينا من التراث الأندلسي ، لأنه لم يؤلف مثله ، بل لأنه
أكمل كتاب أندلسي من هذا النوع وصل إلى أيدينا . فقد ألف القاضي
عياض كتاباً في شيوخ أستاذه أبي علي الصدقي هذا ، فأراد ابن الأبار أن
يكمل العمل بتأليف كتاب في أصحاب أبي علي ، أي تلاميذه ومعاصريه
ومن تبادل معهم العلم . ولو وجدنا كتاب عياض لاكتملت لنا مدرسة
من مدارس العلم كانت فخراً للأندلس يتوسطها شيخها أبو علي بن سكرة
الصدقي ومن حوله شيوخه ثم معاصروه وتلاميذه ، والصدقي جدير بهذا
التقدير كله ، فإنه لم يكن شيخاً واسع العلم كريم الخلق فحسب ، بل كان
مجاهداً باسلاً لقي الشهادة في معركة كُتندة على ما ذكرناه .

وابن الأبار في « المعجم » دقيق الدقة كلها : دقيق في رسم الأسماء وتواريخ الميلاد وتعداد الشيوخ ، ودقيق أيضاً في المنهج الذي اتبعه ، فهو يرتب أسماء المترجم لهم على حروف المعجم (مع بعض خلاف قليل مقصود كإيراد اسم أحمد قبل إبراهيم) ، وهو بعد أن يفرغ من حرف يخصص عدد من ذكرهم فيه ، وإذا أهمل حرفاً نبه إلى أنه لم يجد فيه « معروفاً من هؤلاء الرواة ولا مكثرًا » ، أو « ليس في هؤلاء الرواة من أول اسمه دال أو ذال ، وعدة المذكورين في الحروف الثلاثة : الجيم والحاء والخاء ثلاثة عشر ، منهم في التكملة تسعة رجال » . وعدد التراجم التي في هذا المعجم ٣١٥ .

وفهم من العبارة السابقة أن كتاب « التكملة » كتب قبل « المعجم » . والراجح - على حسب ما استبان لي - أن كتاب « التكملة » كتب على فترات ، ففيه مواد يبدو بوضوح أنها كتبت قبل سنة ١٢٣٢/٦٣٠ - ١٢٣٣ ، وأخرى كتبت بعد هذا التاريخ وقبل هجرة ابن الأبار إلى المغرب ، وثالثة كتبت وهو في بجاية . وهذا معقول بالنسبة لكتاب كبير مثل « التكملة » . صحيح أنه يفهم من فاتحة الكتاب - كما نشرها محمد بن شنب في « المجلة الإفريقية » (سنة ١٩١٨) ص ٣١٧ - أن الفراغ من كتاب « التكملة » كان في أول المحرم سنة ١٢٣٣/٦٣١ - ٣٤ ولكن في الكتاب مواد كتبت وابن الأبار في تونس أو بجاية ، مما يدل على أن ابن الأبار فرغ من صورة أولى من الكتاب في أول المحرم ٦٣١ ثم عاد إلى الكتاب فأكماله ووضع في الصورة التي وصلت إلينا وهو في بجاية للمرة الثانية .

وكتاب « التكملة » استتمام لما بدأ به أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (٣٥١ - ٤٠٣/٩٦٢ - ١٠١٢) من الترجمة لعلماء الأندلس ، وواصل العمل أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الأنصاري (٤٩٤ - ٥٧٨/١١٠٠ - ١١٨٢) ثم استتم ما فاتته

في كتاب لم يصل إلينا هو كتاب « ذيل الصلة » يذكره ابن الأبار في « المعجم » ، ثم جاء ابن الأبار فتصدى لاستكمال ما فات سابقه ومواصلة التراجع إلى أيامه ، وواصل العمل من بعده محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي المعروف بابن عبد الملك (٦٣٤ - ٧٠٣ / ١٢٣٧ - ١٣٠٣) ثم واصل هذا العمل الجليل أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الزبير (٦٢٧ - ٧٠٨ / ١٢٢٩ - ١٣٠٨) وختمه ابن الخطيب بكتابه « عائد الصلة » .

وتكمل هذه السلسلة مؤلفات أخرى في نفس موضوع تراجم علماء الأندلس مثل « جذوة المقتبس » لأحميدى و « بغية الملتبس » للضبي و « معجم شيوخ ابن العربي » لابن الأبار (لم يوجد إلى الآن) وغيرها .

وهذه الكتب كلها - فيما عدا الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي - تتبع منهجاً واحداً في الترجمة ، فتذكر الرجل باسمه الكامل وكنيته ونسبته وبلده الذى ولد فيه أو الذى منه أصله والبلد الذى سكنه إن كان قد نزل ببلد آخر ثم شيوخه وما قرأ عليهم ، ثم تلاميذه ومن أخذ عنه ، وتحم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها وتاريخ الميلاد ومكانه إذا تيسر .

وهذه في الحقيقة ليست تراجم بالمعنى المعروف ، إنما هي سجلات بالأسماء وتواريخ الميلاد والوفاة والشيوخ ، فلا تعطى فكرة واضحة عن المترجم له إلا فيما ندر ، فليس فيها - إلا في القليل جداً - إشارات إلى حياة الرجل وما وقع له أو صفاته وخصائصه كرجل له صفات وخصائص ، بل ليس فيها - إلا في النادر أيضاً - تلك الطرائف والحكايات الصغيرة التى نجد نماذج منها في « تاريخ القضاة » للخشنى أو « رياض النفوس » للالكى أو « الإحاطة » لابن الخطيب أو سلسلة كتب الوفيات المشرقية التى بدأت بابن خلكان ، ومن ثم فإن قيمتها للتاريخ السياسى والاجتماعى للأندلس محدودة ، بل فائدتها في التعريف بالرجال أنفسهم قليلة .

ولكنها على أى حال أكثر فائدة من المواد التى يتضمنها الكثير من كتب على بن سعيد وكتاب «الخريدة» للعماد الأصفهاني أو الكنية الكامنة لابن الخطيب ، فهذه مجموعات مختارات وليست تراجم أو مواد ذات قيمة تاريخية .

وفى هذه الحدود تساوى كتب ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الأبار وابن الزبير فى الدقة والإتقان ، وربما شفى ابن بشكوال على صاحبيه فى تراجمه بسبب ملكته التاريخية الواضحة . وابن الأبار على هذا الاعتبار واحد من أعلام مؤرخى العلم فى الأندلس ومرجع من المراجع التى لا يستغنى عنها مؤرخ له خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بصفة خاصة .

• • •

كتاب الحلة السراء :

وتنتهى إلى كتاب « الحلة السراء » ، وهو دون شك أحسن كتب ابن الأبار وأعظمها فائدة ، بل هو من عيون ما ألف أهل الأندلس قاطبة ومن المراجع التى لا يستغنى عنها من يؤرخ له أو يكتب فى أى ناحية من نواحي الحياة فيه .

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن عنوان الكتاب الكامل : « الحلة السراء فى شعر الأمراء » ولم نجد ما يؤيد هذا فى المخطوط ولا عند الموثوق فيهم ممن كتبوا عنه ، ولهذا جعلنا عنوان الكتاب « الحلة السراء » فحسب ، ولو أن إكمالها بعبارة « فى شعر الأمراء » معقول .

وقد قلنا فى أول هذه المقدمة إن صاحب الفضل فى اكتشاف القيمة التاريخية والأدبية لهذا الكتاب كان المستشرق دوزى ، وقد أثبتت الدراسات التالية حصافة دوزى عندما أشاد بقيمة الكتاب وخصائص صاحبه ، والكتاب الآن بين أيدي القراء يستطيع من يريد منهم أن يستبين بنفسه ما له من قيمة وما يوحى به من ثقة .

ولفظ «السِّيْرَاء» الذي استعمله ابن الأبار في العنوان لفظ نادر الاستعمال ولكنه جميل أحسن ابن الأبار في اختياره ، وإليك ما ورد في «لسان العرب» في معنى هذا اللفظ :

«... وثوب مُسَيَّرٌ وشيْهُ مثل السِّيور ، وفي «التهذيب» : إذا كان مخططاً . وسَيَّرَ الثوبَ والسهمَ جعل فيه خطوطاً ، وُعقَابٌ مُسَيَّرَةٌ مخطوطة . والسِّيْرَاءُ والسِّيْرَاءُ ضرب من البرود ، وقيل هو ثوب مُسَيَّرٌ فيه خطوط تعمل من القز كالسيور ، وقيل برود يخالطها حرير ، قال الشَّامِيُّ :

فقال لزارٌ شَرَعَبِيٌّ وأربعٌ من السِّيْرَاءِ أو اواق نواجزُ وقيل هي ثياب من ثياب اليمن والسِّيْرَاءُ الذهب ، وقيل الذهب الصافي ، الجوهري ، والسِّيْرَاءُ بكسر السين وفتح الياء والمذ بُرْدٌ فيه خطوط صُفْرٌ ، قال النابغة :

صفراءُ كالسِّيْرَاءِ أَكْمَلُ خَلْقُهَا كَالغَصَنِ فِي غُلَوَائِهِ الْمَتَاوُدِ
وفي الحديث : أهدى إليه أَكْيَدِرُ دومة حلة سِيْرَاءِ . قال ابن الأثير : هو نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور ، وهو فعلاء من السِّيْرِ الْقِدِّ . قال : هكذا روى على هذه الصفة . قال ، وقال بعض المتأخرين : إنما هو على الإضافة ، واحتج بأن سيويه قال : لم تأت فعلاءُ صفةً لكن اسماً ، وشرح السِّيْرَاءُ بالحرير الصافي ، ومعناه حلة حرير ، وفي الحديث : أعطى علياً بُرْدًا سِيْرَاءً وقال : اجعله مُحْرَأً ، وفي حديث عمر : رأى حُلَّةً سِيْرَاءً تباع ، وحديثه الآخر أن أحد عماله وفد عليه وعليه حُلَّةٌ مُسَيَّرَةٌ أى فيها خطوط من إبريسم كالسيور « (مادة سير ، ٦ / ٥٧) .

وإذن فالمراد بالعنوان : الحلة ذات خطوط من حرير ، وقد تكون هذه الخطوط صفراء فتشبه الذهب ، وإذا أخذنا برأى سيويه كان المعنى ثوب حرير صاف . وهو بطبيعة الحال كناية عن مادة الكتاب وما فيه من

الشعر ، وجدير بالملاحظة أن شعر الكتاب ليس كله لأمرأه ، بل فيه الكثير من شعر الوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلماء .

وهذا الشعر كله جيد ، مما يدل على ملكة ابن الأبار كناقده للشعر عارف بالجميل منه وغير الجيد . ولكن أهم من الشعر في الكتاب نثره ، فهو تراجم غاية في الفائدة لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس من القرن الهجري الأول إلى منتصف القرن السابع مع مادة تاريخية لا بأس بها عن أعلام مشاركة من أهل القرن الأول كان لهم نصيب في فتوح المغرب والأندلس .

وفي كل هذه المواد يبدو لنا ابن الأبار مؤرخاً فحلاً واسع الاطلاع نافذ النظر صادق الحكم ، وإذا استثنينا بعض المواد الأولى التي ينسب فيها ابن الأبار شعراً إلى عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الملك بن مروان وبعض أجزاء الباب الأخير الخاص بمن لم يؤثر عنهم شعر ، تبيننا أن مادة التراجم كلها متعادلة من حيث القيمة والغزارة والأصالة ، غنية بكل ما ينفع المؤرخ ، ولا أذكر أنني قرأت لغير ابن الأبار في الأندلس شيئاً يدل على سعة العلم على هذه الصورة ، فهو متمكن غزير المادة سواء أكتب عن خلفاء بني العباس أم خلفاء الفاطميين أم أمرأه الأندلس وخلفائها أم أمرأه الطوائف ومن عاصرهم . وهو ليس غزير المادة فحسب ، بل ناقده يقظ لا يمر بخطأ في تاريخ أو اسم إلا استدرك عليه ، وتبدو منه بدوات هنا وهناك تدل على أنه كان بالفعل من أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي .

ومن حسن الحظ أن ابن الأبار تخلى عن السجع بعد فراغه من فائحة الكتاب ، فجاء أسلوبه قوياً رصيناً بليغاً يرتفع إلى أحسن مستويات الأساليب العربية الصافية ، وأسلوبه هنا يشبه أسلوبه في «إعتاب الكتاب» . ومقارنة بين أسلوب الحلة وإعتاب الكتاب ونصوص الرسائل المسجوعة التي كتبها ابن الأبار وأورد المقرئ شيئاً منها تعطينا دليلاً على جنابة السجع

على الأدب العربي ، فهذا ابن الأبار إذا كتب على سجيته دون تكلف أفصح وأبان وأفاد وأمتع ، فإذا تكلف وسجع أسفَّ وهبط وضاعت معانيه في جهد البحث عن السجعيات .

وليس هذا موضع تحليل هذا الكتاب ، فهذه دراسة طويلة جدية بأن يفرد لها بحث خاص ، ومثل هذا الكتاب تتبين مزاياه عند الحاجة إليه والبحث فيه .

• • •

المخطوط :

ولم تُتبق الأيام من « الحلة السراء » إلا نسخة وحيدة هي هذه التي اعتمدنا عليها في هذا العمل ، وقد وقع في ظن بعض الباحثين أن هناك نسختين أخريين ، واحدة في مدريد والثانية في باريس .

وهذه النسخة الوحيدة الباقية هي المحفوظة في مكتبة الإسكريال برقم ١٦٥٤ ، وهي نسخة جميلة مكتوبة بخط مغربي على ورق حجمه ٢٧ × ٢٠ سنتيمترا ، في الصفحة ١٩ سطرأ ، وعدد أوراقها ١٩٧ . وفي نفس المجلد ٣ وراقات أضيفت إليه خطأ من تاريخ يظن أنه لأحمد بن أبي الفياض المؤرخ الأندلسي ، والخلاف في نسبتها شديد بين الباحثين ، انظر :

P. MELCHOR ANTUNA, *Un Fragmento Árabe - Historico* (Biblioteca del Escorial); en CIUDAD DE DIOS. San Lorenzo del Escorial, tomo CXXXVII, 1921, p. 103 - 114.

وانظر أيضا فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الإسكريال الذي وضعه هارتويج ديرنبور وراجعته وأكمله ليثي پروفنسال (باريس ١٩٢٨) ج ٣ ص ١٨٨ - ١٨٩ .

وتنقص المخطوط من أوله ورقتان أو ثلاث على الأكثر فيها خطبة الكتاب وشيء من فاتحته ، وابن الأبار يأتي فيها بنهاذج من شعر أمراء من بني حفص ، والغالب أن بعضها للأمير أبي يحيى زكريا الذي كان ولياً للعهد ثم

توفى قبل وفاة أبيه أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتى فى سنة ٦٤٧ / ١٢٤٩ - ١٢٥٠ وانتقال الأمر إلى ابنه أبى عبد الله محمد الذى لقب بالمتنصر أو المتنصر .

أما النسخة التى ظن بعضهم أنها فى المكتبة الأهلية فى باريس فنسخة حديثة كتبها المستشرق الإسبانى خوسيه أنطونيو كوندٍ وعن هذه نقل المستشرق رينو نسخة صارت إلى ملك الجمعية الآسيوية الفرنسية ، ثم انتقلت إلى المكتبة الأهلية فى باريس (انظر جامع نصوص بنى عباد لدوزى ، ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧) وقد استعان بها دوزى فى نشر ما نشر من الحلة ، ولكن بعضهم حسبها مخطوطة قديمة من الحلة وتحدث عنها بهذا الوصف .

وأما نسخة مدريد التى ذكرها بعضهم على أنها أصل من أصول الحلة فنسختان لا واحدة ، كتب الأولى منهما فى سنة ١٧٩٥ مستشرق إسبانى يسمى خوسيه أنطونيو بيتر José Antonio Pellicer وكتب الثانية مستشرق إسبانى آخر يسمى پابلو أودار Pablo Hodar بتوجيه من ميخائيل الغزيرى ، وقد أصبح هذا الرجل بعد ذلك أستاذاً للغة العربية فى جامعة قلمرية Coimbra فى البرتغال ، وتوفى بها سنة ١٧٧٩ (انظر فهرس مخطوطات المكتبة الأهلية بمدريد الذى صنّفه جيّـن رُوْبـلِس Quillén Robles ، مدريد ١٨٩٨ رقمى ١٢ و ١٣ ص ٨ و ٩) .

ولا وجود كذلك لأى نسخة أخرى من الحلة فى أى مكتبة عامة أو خاصة أخرى بحسب ما وصل إليه علمى .

وهذه المخطوطة الوحيدة جميلة واضحة الخط ، ولولا هذا الحرم الصغير فى أولها وبعض ثغرات قليلة الأهمية فى سياق النص لكانت من أكمل ما وصل إلينا من المخطوطات . وقد وقع الناسخ أثناء النقل فى خطأ جر إليه السهو ، فانتقل فى أثناء ترجمة أبى عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضى إلى ترجمة أبى عبيد بن عبد العزيز

البكرى ، وكأنه كان ينسخ ترجمة الأول ثم مضى لبعض شأنه وعاد ففتح المخطوط فوقع على ترجمة أبي عبيد بن عبدالعزيز البكرى فلم ينتبه للأمر ومضى ينقل ، وبعد أن فرغ منه تنبه إلى أنه أسقط تراجم معظم أهل القرن الخامس ، فعاد واستتمها ! ومن حسن الحظ أنه لم يسقط شيئاً من الأصل . وقد تنبه إلى ذلك دوزى وبينه في الكلمة التي صدر بها ما نشر من الحلقة ، وراجعتُ الأمر مرة أخرى عند التحقيق ، ونهت على ذلك في موضعه .

وقد أفدتُ أكبر الفائدة من عمل دوزى وماركوس مولر في هذا الكتاب ، وقد جرى الناس على أن يذكروا الأول دون الثاني عند الكلام على الحلقة ، مع أن مولر في الحقيقة خدم ما نشر من النص خدمة طيبة وقد انتفعت من قراءته في كثير من المواضع ، ومن الحق أن أحيي هنا ذلك الجهد العظيم الذي بذله هذان المستشرقان الجليلان ، لا في تحقيق ما نشرنا من الحلقة فحسب ، بل لخدمتهما للدراسات العربية بصفة عامة ، ويكفي أن أحدهما - وهو ماركوس مولر - كان يستحب أن يسمى نفسه امرأ القيس بن الطحان ، لأن امرأ القيس في رأى البعض تعريب لماركوس أو مرقص ومولر معناه الطحان .

• • •

وبعد فهذا نص « الحلقة السراء » كاملاً بين يدي القارئ مخدوماً على قدر ما سمحت به الطاقة وأعان الجهد ، ولقد طالما رجا الباحثون أن يجدوه ميسراً بين أيديهم ، فغسى أن يكون ما أنفقت من جهد محققاً للرجاء .

وقد أعانني في ضبط الشعر صديقي وأخي الدكتور محمود على مكى وكيل معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، وأنا مدين له بهذا الفضل ، ووقف على طبع الكتاب في القاهرة صديقي مصطفى عبد المجيد صالح أكرمه الله بما صدق ونصح ، وتعاوننا نحن الثلاثة على تصحيح تجارب الطبع ، ونحسب أننا نقدم هنا نصاً يخلو من خطأ مطبعي يستحق الذكر .

والله ينفعنا بجهدنا ويزيدنا من فضله وتوفيقه . وخير ما نختتم به هذا
الكلام دعاء صادق بالرحمة والغفران لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن الأبار .

د . حسين مؤنس

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بجامعة القاهرة
ومدير معهد الدراسات الإسلامية بمطرد سابقاً
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

القاهرة في شوال ١٤٠٥
يوليو ١٩٨٥

كِتَابُ
الْحِفْظِ وَالسِّيَرِ

[يَسْمَعُ اللَّهُ الرِّجْزَ الرَّجِيْبَ]

.....
 [*]

[١-١] / بَنَى لِي الْمَجْدَ آيَلاً كِرَامًا وَرِنْنَا تَجْدَمَ بَاعًا فَبَاعًا
 وَهَذَّبَنِي الْإِبَاهَ فَفَاتِ طِرْفِي^(١) وَكَلْتُ بَعْدُ يَجْرِي مَا اسْتَطَاعَا
 وَقَبَاهِمَا مِمَّا يَصِلُ حَبَاهُمَا وَيَصِفُ فُضَاهِمَا :

وَمَا لِلنَّاسِ مِنَّا غَيْرُ رَغْبِي يُفِيدُهُمْ رِفَاهًا وَانْتِفَاعًا
 فَيَمْنَعُهُمْ وَمَا شَعِبُوا مَضَامًا^(٢) وَيُؤَسِّسُهُمْ وَمَا سَعَبُوا انْتِجَاعًا

وَلَمْ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَسَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْهُمْ :

أَجِبْ دَاعِيَتَهَا فَالْتَجِيبْ يُجِيبُ وَشُبَّ لَطَاهَا فَالْتَجِيبْ^(٣) يُجِيبُ

(٥) ذكرنا في المقدمة أن المخطوط تنقصه أوراق من أوله ، قد لا تزيد على اثنتين ،
 هما أول الفاتحة ، ويبدأ الكلام في المخطوطة بهذه الأبيات ، وهما من شعر أبي زكريا الحفصي
 الذي أهدى إليه ابن الأبار هذا الكتاب . وقد حاولت العثور على أصول هذه الأشعار ، فوجدت
 بعضها ولم أجد الباقي . ومن الواضح أن ابن الأبار تحدث في الصفحات الضائعة عن شعر الأمراء ،
 وكيف أنه دليل على امتيازهم وذكائهم وعلمهم ، وهو معنى سيعود إليه أكثر من مرة في سياق
 الكلام ، وقد بينا ذلك في المقدمة . وقد وضمت نقطاً بين حواصر مكان البياضات في الأصل ،
 واكتفيت بهذه الإشارة هنا تحاشياً لتكرار عبارة : « بياض في الأصل » .

(١) الطرف : الكريم من الخيل .

(٢) في الأصل : وما شغبوا مضامها ، وقد قومناه كما في المتن . ومعنى الشطر على هذا هو أنه

يحميم ، ومن تفرق منهم من الصميم (انظر مادة شَمَبٌ في لسان العرب ، ١/ ٤٧٩ - ٤٨٠) .

(٣) التنجيب : الجبان .

وَشِمَّ عَزْمَةً لَا يَفْمِزُ^(١) الْعَجْزُ مَتْنَهَا فَذُو الْعَزْمِ فِي الْيَوْمِ الصَّمِيمِ يُصِيبُ
 وَلَا تَبْتَغِ الْعَلِيَاءَ إِلَّا بِأَبْيَضٍ لِعَرَبِيَّةٍ فِي هَامِ الْكُمَاةِ غُرُوبُ
 وَأَسْمَرَ غَيْرَ شَيْبِ الْوَقَعِ رَأْسَهُ أَلَا إِمَّا بَعْدَ الْقَشِيبِ مَشِيبُ
 وَإِنْ شَتَّ قَلْتَ النِّجْمُ تَوَجَّ رَأْسَهُ فَلَاحَ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ تَقُوبُ
 يُنْضِنُ صِلَاً نَمَّ يَهْوَى كَأَنَّهُ رِشَاءَ لَهُ قَلْبُ الْكَيْمِيِّ قَلِيبُ
 وَصَفْرَاءَ رَثَبَهَا الْجُيُوبِ^(٢) وَرَاوَحَتْ ذَوَائِبَهَا فَوْقَ الْجُبُوبِ جَنْبُوبُ
 إِذَا عَيْجَ مَتْنَهَا أُفَيْمَتْ شَبَابُهَا^(٣) فَهِيَ سَرُوبٌ لَا يَرَى وَرَسُوبُ
 فَإِنْ سَدَّكَتْ بِالْكَفِّ^(٤) أَوْ فَلَ خَطُوهَا نَخَطُوهَا بَيْنَهَا فِي الْحُرُوبِ رَحِيبُ
 وَأَجْرَدَ يَسْتَجْتَلِي بِأَوْضَاحِهِ الْوَعَى وَقَدْ جَنَّا يَوْمَ الرُّكُوبِ عَكُوبِ^(٥)

(١) في الأصل : يغمز ، وقد صوبها ماركوس مولر (ص ١٦٢) : يغمز ، وهو

صحيح .

(٢) هذا البيت من مشكلات هذه القطعة نظراً للجناس اللفظي الذي أراده الشاعر . والبيت كله يدور حول القوس ووصفها . وقد ورد لفظ « الجيوب » هنا واضحاً في الأصل ، فلم نر ما يدعو إلى تغييره . وقد عدله مولر (ص ١٦٢) إلى « الجبوب » . وكذلك جملة حسن حسني عبد الوهاب عندما أورد هذه القطعة في كتابه « المنتخب المدرسي من الأدب التونسي » (الطبعة الثانية ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩٤٤) ص ١٠١ . والجيوب هو الفرس المجيب أي المحجل إلى ركبتي يديه وعرقون رجليه . وأعتقد أن الأصوب هنا « الجيوب » والمراد بها الصدور . وسيرد لفظ الجيوب في المصراع الثاني من البيت ، وهذا فقد استبعدت أن يكرره الشاعر في بيت مرتين .

(٣) في الأصل : بناتها . وقد جعلها حسن حسني عبد الوهاب بناتها ، وفسر اللفظ بأذه قوائم الفرس ، وعلى هذا الأساس فسر « سرُوب » و« رسُوب » . وأعتقد أن الشاعر لا يزال يصف القوس ، وعلى هذا فقد صوبت اللفظ إلى « شبابها » ، وباقى البيت مفهوم على هذا التفسير .

(٤) أي شدت باليد .

(٥) العكوب : العبار .

إذا ما استحرَّ الضربُ واشتَجَرَ القَنَا
 له من سَعَالِي الجِنِّ خَلْقٌ مُطَهَّمٌ (١)
 بِتِلْكَ يُنَالُ الوِثْرُ لَوْ حَالِ دُونَهُ
 / فذِعْ عَنْكَ أبنَاءَ الزمانِ فَكُلُّهُمْ
 فلا تُورِدْنَهُ وِرْدَكَ الصَّفْوِ إِنَّهُ
 [...] ساوى الرِّجَالَ قَبَائِمٌ
 [...] قوبى يعمد هابياً
 [...] إلى الخليل محلة
 [...] يديك فإنه
 [ألا فإِسْتَعْنِ واسْتَعْنِ باللهِ إِنَّهُ
 لَفَتَحَتْ بِتَقْدِيرِ الرَّقِيبِ قَرِيبٌ

ولهم — أيدهم الله — في استقبال حضرتهم العلية من بعض غزواتهم الميمونة :

تقر جفون عينك بالقرارِ
 ألحَّ البرقُ مُعْتَرِضًا ففَارَتْ
 حَنِيَّ يَسْرِي وظلِّ الدَّمْعِ يُجْرِي
 وهابَ البدرُ أن يقرى دجَاهِ
 وساءل مسنداً يرويه عَنِي
 سقى أعلامَ تونسِ فالْحَنَابَا
 فواكَبَدَاهُ من شوقِ تَناءَتْ
 وأَبْرَحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً

(١) كذا في الأصل . وقد قرأها ح . عبد الوهاب : مطهر ، وكذلك فعل مولر (ص ١٦٣) .

(٢) لهوب جمع لهب ، وهو هنا : مهواة ما بين كل جبلين (اللسان ، ٢٤١/١) .

ومن قلائدهم المُرِّيَّةِ بقلائد العقيان ، المُرِّيَّةِ على فرائد الجمان ^(١) :

وحَوَّاءُ تستعلِي بِنَهْدِينِ أَشْرِعَا ولا عَزَّوْ أَنْ يَدْعُو هَوَاهَا فَاتَّبَعَهُ
تقول ، وقد رَقَّتْ لِمَا بِي : أَجَارِعُ وَأَنْتِ جَرِيٌّ وَالْأَسِنَّةُ مُشْرَعَهُ ؟
/ فقلت لها : جفناك عزا تجلدي ونهداك هدا نفس هيان موجهه
ومازلت ألقى القرن يعسل ^(٢) ربحه فمن لي بمن يلقى الفؤاد بأربعة ؟

[١ - ٢]

صدر هذا عنهم ، دامت سعادتهم . وقد أنشدَ بمجلسهم العليُّ للقاضي
أبي بكر بن العربي في مُدَاعِيْبٍ له من فتيان اللثمة هز ربحه عليه وأوماً به إليه :

يهزَّ عليَّ الرِّمَحَ ظمِيٌّ مُهْفَفٌ لعوبٌ بِالْبَابِ الْبَرِيَّةِ عَابِثٌ
فلو كان ربحاً واحداً لآتقَيْتُهُ ولكنَّه رِمَحٌ وَثاقٌ وَثاقٌ

كذا قرأت في ديوان شعرهم ، أدام الله تأييد أمرهم . وهما عندي للقاضي
أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ^(٣) ، أنشدنيهما القاضي أبو سليمان داوود
ابن سليمان بن حوط الله الأنصاري الحارثي ^(٤) بمدينة بَلَنْسِيَّةِ ، وهو إذ ذاك يتولى

(١) يشير ابن الأبار هنا إلى كتابي « قلائد العقيان » لابن خاقان و« فرائد الجمان » أو
« الفرائد الجمانية » (طبع في القاهرة سنة ١٩٠١) لمعين الدين أبي نصر أحمد بن عبد الرزاق
الطنطرناني المتوفى سنة ٤٨٠ / ١٠٨٧ (انظر بروكلمان ، ملحق ١ ص ٤٤٦) .

(٢) عَسَلَ الرِّمَحَ : هزه .

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المعاري . من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد . ترجم له
ابن بشكوال في « الصلة » (رقم ٨٢٥ ج ١ / ٢٨٠) ويصفه بأنه « كان واسع المعرفة قوى الأدب . متفتنا في
العلوم ، أخذ الناس عنه » . توفي سنة ٥٤٢ / ١١٤٧ - ١١٤٨ .

(٤) هو داوود بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن سليمان بن خلف . . بن حوط الله
الأنصاري الحارثي من أهل أندلس (٥٥٢ - ٦ ربيع الآخر ٦٢١) ، من أكبر فقهاء الأندلس
في عصره وأوسمهم علما وأكثرهم رحلة وشيوخا . وهو من شيوخ ابن الأبار ، وقد ترجم
له ترجمة واسعة في تكملة الصلة ، رقم ٢٠٥ ص ٦٣ - ٦٥ . ولم يرد لأبي محمد عبد الحق بن
عطية ذكر في هذه الترجمة ولا في تكملة الصلة .

قضاءها . قال : « أنشدنا الشيخُ أبو الحسين سراجُ بن عبد الله العثماني^(١) —
 — سرّاتٍ — للفقير القاضى أبى محمد عبد الحق بن عطية » ؛ وذكر البيتين ، إلا
 أن صدر أولهما فى هذه الرواية « يهددنى بالرمح ظمى مهتف » ، وصدر ثانيهما
 « فلو كان ربحاً واحداً لا تفتيته » ، وباقيهما سواء^(٢) . ولمن كان منهما ذلك
 فقد عدل به عن جادة الإجابة والزيادة .

ومن لزومياتهم السنية فى غزلياتهم السلطانية :

بذت لك فى ثوب يشفُ منجمٍ أزيرق — يا للهٍ للحسنِ! — أزرقا
 ولاحتْ ، وبدر الأفق فى الأفق كاملٌ فلم أذر أئى راعى حين أشرقا
 خلا أنه لما رأى حُسنَ وجهها تأنى قليلاً حين شام فأبرقا
 ودونهما صفوُ الغدير مسلسلاً فأقسمُ لولا رقةُ الوصل أحرقا
 ولما رنا نحو السجّجِ لوجهها أطلّ على متن الغدير فأطرقا
 وزرّت عليه الشهبُ ثوبَ سمائه فقارب فى التشبيه منها وأغرقا
 ونازعها ثوباً ولوناً ورفعةً وبعداً وإشراقاً ووجهاً ترقرقا
 ومن رفيع الرصف وبديع الوصف قولهم ، لا زال يجارى الأقدارَ عدلهم
 وبيارى الأمطارَ طوولهم :

/أعدّ نظراً حيث الرياض كأنها خدودُ الغوانى أو قدودُ الكواعبِ [٢ - ب]

(١) سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج من أهل قرطبة ، يكنى
 أباً الحسين . ترجم له ابن بشكوال فى الصلة (رقم ٥١٤ ، ج ١ / ٢٢٦) ولم يذكر نسبه
 للعثمانية ، وقال عنه : « وكانت له عناية كاملة بكتب الآداب واللغات والتقييد لها والضبط
 لمشكلها ، مع الحفظ والإتقان لما جمعه منها » . ولد سنة ١٠٤٧/٤٣٩ وتوفى فى جمادى الآخرة
 سنة ١٠١٧ / ٥٠٨ . أما هذه النسبة العثمانية فترجع إل ولاء أسرته لبنى أمية وذكر ذلك القاضى عياض .

(٢) روى البيتين المذكورين هنا أحمد بن محمد المقرئ فى نفع الطيب (طبعة محبى الدين
 عبد الحميد ، ج ٢ ص ٢٣٣ فى ترجمة أبى بكر محمد بن عبد الله بن العربى) بالصورة التى وردا
 بها فى النص ؛ وقد نسبها إليه .

تميل وليست بين كأس وقينة
وسال تميز الماء بين اخضرارها
وإلا كما شق الكنهور بارق
قد اطردت فيه المذائب دائما
وللنرجس النضر اصفرار تحاله
يدب إليك الحسن في جنباتها
وللياسمين الفض في خضر ببطها
وللسوسن المبيض إصغاه ألف
وقد كللت أغصان نارنجها، قفل
وعطر منها النثر ما بلل الندى
وللماء في الدولاب - إن رمت وصفه -
تضمن سقى الروض رفها يعلته
مقطرة الأردان يغم فحها
سما ، وجرى الماء فيها مجرة
فدونكها تحتال زهوا ونصرة
ولهم - خط الله سلطانهم - في
واكثر هذا التشبيه على البديهة :

بقتها وذكر العرف الحفا
كأنما الزهر والخابور جزعه
قد راق منظره حسنا لملفت
بردين من وضح الإصباح والشفق
شدر تثار في در من العنق
ورق مخبره عرفا لمنشق

/ولم — ظاهرَ اللهُ نَمَهُ لَدَيْهِمْ — مما كَتَبْتَهُ بَيْنَ السَّكْرِ يَمْتَنِينَ بِأَيْدِيهِمْ : [١-٢]
 حُذِّهَا كَمَا مَعَّرَ عَرَفُ الرُّوضِ بِالسَّحَرِ وَأَيُّقُظَ الطَّلَّ رَبَّيَا نَأْمِرُ الزَّهْرَ
 حَمَاءَ تَرْفُلُ فِي أَثْوَابِ بَهْجَتِهَا تَفْتَرُّ عَنِ لَوْلَائِي عَذْبٍ وَعَنْ أَمْرِي^(١)
 زَفَقَتْهَا وَرَوَّاقِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلٍ كَانَهَا سَفَقٌ فِي هَالَةِ الْقَمْرِ
 ومن العازم ، وصممت منهم رضى الله عنهم :

سَحَرْتُ أَعْيُنَ الْجَبَّادِرِ لُبِّي وَاسْتَبَاحْتُ حِمَى فُوَادِي وَقَلْبِي
 [.] مِنْهَا اشْتَبَاهُ فَاظْطَرَّنَا التَّصْحِيفَ مِنْ بَدِ قَلْبِ
 وقد استوفوا حروف المعجم في هذا الباب ، فأثوا — أيدهم الله — [بما فيه]
 عبرة لأولى الألباب .

ولم في الرثاء ، أدام الله أيامهم كما جعل مفاتيح الأقاليم سيوفهم وأعلامهم :
 تَصَبَّرَ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَوْلَى بِذِي حَجْرٍ وَإِنْ كَانَ حِجْرًا فَالْعَلَامُ إِلَى الْحِجْرِ^(٢)
 وَمَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَقْدُو عَلَى الْفَتَى فَطَوْرًا عَلَى بَشْرٍ وَطَوْرًا عَلَى بَشْرٍ^(٣)
 وَإِنْ سَأَلْتِ ، وَالظُّلْمُ مِنْهَا سَجِيَّةٌ فَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تَعْرِ وَأَنْ تُعْرَى
 مَرَى^(٤) الْحَزْنَ دُمِي أَنْ أَمْرَهُ حِبَالَهُ وَكَانَ قَدِيمًا لَا يُبْرُ وَلَا يُعْمَرِي
 وَعَهْدِي بِهَذَا الدَّمْعِ يَا عَيْنُ وَافِيًا فَهَلْ لَكَ فِي الْقَدْرِ الْمَبْرَحِ مِنْ عُذْرٍ ؟
 أَلَا مَنْ لَعِينٍ لَا يُنْهِنُهُ غَرْبُهَا أَلَا مَنْ لَسَخِرٍ لَا يَمْلُ مِنْ السَّخْرِ ؟
 أَلَا تَلِكُ شَمْسُ الْجَوْ فِي الدَّوِّ^(٥) فَاعْجَبُوا أَلَا تَلِكُمْ إِدْمَانَةُ الْعَفْرِ فِي الْقَفْرِ

(١) تأشير الأستان تحزيرها وتحديد أطرافها .

(٢) الحجر الأولى والثانية بمعنى العقل ، والثانية بمعنى حرام .

(٣) بسر الرجل وجهه : كَلَّح .

(٤) مرأه حقه : جعده .

(٥) الدو : المفازة .

أَسْأَلُو هَذَا شَخْصَهَا حَشْوُ مُقَاتِي وَأَنْسَى وَمَا تَنْفَكْتُ مِنْهُ عَلَى ذِكْرِ ؟
 لَنْ ضَمَّ مِنْكَ الْإِحْدُ ذَاتَا زَكِيَّةً لَقَدْ حُنَيْتَ مِنْهُ الضَّلُوعُ عَلَى جَمْرٍ
 سَابِكِيكَ مَا أَنْتَ فَقِيْدَةٌ بِكِرْهَا وَحَنَّتْ إِلَى وَكْرِ مُطَوِّفَةُ النَّعْمِ
 / أَطَارِحُهَا شَجْوِي فَيُسَمِدُ شَجْوَهَا فَتَحْسَبُنَا إِلَيْهِ مُصَابِي لَدَى وَكْرِ
 [٣ - ب] وَمَالِي وَمَالِ الْعَيْدِ لَوْلَا تَحَقُّلٌ يُكَلِّفُنِي مَا لَا أُطِيقُ مِنَ الصَّبْرِ
 فَنُ كَانَ ذَا هَدْيٍ وَهَدْيٍ لِعَيْدِهِ فَعِنْدِي هَدْيٌ مِنْ مَدَامِي الْحُمْرِ
 يُضَادُونَهَا قُرْتِي لِنَحْرِ ثَلَاثَةَ وَدَمِي مِنْ تِسْكَابِهِ الدَّهْرِ فِي بَحْرِ
 وَعِنْدِي وَلَا رَدَّ زَفِيرٌ مُرَدِّدٌ تَهْدِي لظَاهِ جَانِبِ الْبِشْرِ
 وَتَصْدِيقُ إِيْمَانٍ وَإِقْرَارُ مَوْقِنٍ وَتَسْلِيمُ مَهْرَبٍ لَدَى الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
 وَمِنْ تَصْنِيفِ لَهْمٍ فِي الزَّهْدِ جَلِيلٍ ، هُوَ عَلَى انْفِرَادِهِمْ فِي الْكَمَالِ وَسِحْرِ

الكلام أوضح دليل :

يَعْبَجَلُ الْإِنْسَانُ بِالشَّيْءِ ، وَهَلْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ عَجَلٍ ؟
 وَلِذِي الْعَدْلِ قِضَاءٌ فِي الْوَرَى يَقْتَضَاهُ كِتَابٌ وَأَجَلٌ
 إِنَّ ظُنْفَرَ اللَّيْثِ يَدْمِي مِنْ رَدَى مِثْلَ خَدِّ الْخُلُودِ يَدْمِي مِنْ خَجَلٍ
 وَأَخُو الْفِئْلَةِ فِي غَفْلَتِهِ إِنْ بَكَتْ وَرَقَاهُ غَنَى وَارْتَجَلُ

وإنما أورد منه الفرائد ، وأقصد إليه من القصائد ، وهما هي تضيق عنها
 المهارق^(٢) ، وتضيء منها المغارب والمشارق ، وإنما هذا إلماع بما أعوز العلماء ،
 وإسماع لما أسكت الحكماء .

ولما ظفرتُ من هذا المقصود الأحمَد ، وسبقتُ إليه سبق الجواد إذا استولى
 على الأمد ، قصرته على ملوك إفريقيَّة وبلاد المغرب المضافة إليها ، وقدمتُ

(١) كذا في الأصل . ولعله يقصد بالأولى البهرة وبالثانية السرور .

(٢) الصحف .

القادمين في المائة الأولى من السلف الأول عليها ، لأنها من أوائل فتوح الإسلام ، ثم من منازل بدر التمام مولانا الخليفة الإمام ، أدام الله لهم نصر الأولوية والأعلام . وفي المائة الثانية صارت الأندلس دارَ إيمان ، فواليتُ ذكر ولاتها من ذلك الزمان ، ليوقَفَ على جلاله شأنهم ، ويُعرف تمكن محلم من البلاغة ومكانهم ، وذكرتُ أبناءهم ، واختصرتُ أبناءهم ، هربا من التطويل ، ورَهَبًا للتثقل ، إلا نكناها بانتخابها أحسن المواقع/وعيوننا هي باقتضابها أجولُ في المحافل [٤-١] وأوليجُ في المسامع . وربما عرض ما يدعو إلى البسط فانتقص حُكم هذا الشرط ، ولا غرو أن أوقع المحذور ، فللكلام اضطرار يُبيح المحظور . وأبرزته مسوقًا على الحُقب ، منسوقًا بحسب الرُتب ؛ أعين للصدور صدر كل مائة ، وأبين من تميز في جماعة أو تحيز إلى فئة ، ليستوفي المتأدين ، حتى من التوثيين .

والذين ما عثرت على أشعارهم ، أفردت بابًا لأخبارهم ، ولم أعرض لمن أعرّضت عنهم الدولة الحفصية بأهلها ، وانتزعت ما كان بأيديهم تراثًا لها من الملك والسلطان .

ثم [.] ^(١) الاسم الذي من خصائصه التأمين والتأشير وأشبهه [.] ^(٢) النصير والمشرع النصير حضرة مولانا الأمير [.] ^(٣) الأسعد الأطهر الأرضي أبو يحيى ولي عهد المؤمنين ^(٤) ، وعهد الولي في مقتابعات السنين ،

(١) بياض بقدر كلمتين .

(٢) بياض بقدر كلمتين .

(٣) هنا مكان كلمتين ميثورتين من الأصل ، وآثار البشر واضحة .

(٤) كذا في الأصل ، وصحته أبو زكريا يحيى وهو ابن أبي عبد الله محمد الحفصي الملقب بالمتنصر ثاني أمراء الحفصيين (٦٤٧ - ٦٧٥ / ١٢٤٨ - ١٢٧٧) . وفي خدمة المتنصر عمل ابن الأبار . والإشارة هنا إلى ولي عهده أبي زكريا يحيى الذي خلفه على العرش سنة ٦٧٥ / ١٢٧٦ - ١٢٧٧ وتولى بعده وتلقب بالوائق . وقد فرغ ابن الأبار من « الحلة للسيرة » خلال سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ أو بعدها بقليل ، أي أيام كان أبو زكريا يحيى الوائق ولياً للعهد . (انظر : ابن خلدون ، تاريخ ٦ / ٢٩٦) .

والملى^(١) وقد [...] مكارم الآباء بإنجاب كرام البنين . أجهد^(٢) في الاستظهار على شكر نعمته ، وأجهر آناء الليل وأطراف النهار بأن [يكون]^(٣) العمل خادماً النية في خدمته . وأقصى المأمول أن تأذن له^(٤) سيادته في القرب من سُدَّته ، وتقابل وفادته بالقبول ليسعد مداه بسمادة مدته . أبقاه الله ولواؤه منصور ، وكرم الخلال فيه محصور ، وشرف الكمال عليه مقصور ، والعيون والقلوب إليه ميل^(٥) وصور ، بمنه .

(١) كذا في الأصل ، وصحة هذا اللفظ تتضح إذا عرفنا ما بعده ، وهو مضطرب فيه نسختنا .

(٢) بياض بقدر كلمة في معنى : عهِدَت .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٤) الضمير هنا عائد على العمل .

المائة الأولى من الهجرة

١ - عمرو بن العاصي، أبو عبد الله

قرأت بخط أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب « أنساب الأشراف » من تأليفه : قال محمد بن سعد : قال الواقدي من خبر عمرو ابن العاصي إنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً في صفر سنة ثمان - قبل فتح مكة بأشهر ؛ وكان الفتح في شهر رمضان - فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ثمان إلى ذات السلاسل في سرية ، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عن جميعهم^(١) . قال : ثم بعث به إلى ابني الجَلَنْدَى بُعْثاً فأسلم ، وكان أميراً عليها . فلم يزل عمرو بُعْثاً حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وعمرو بن العاصي هو الذي فتح مصر ونواحيها في خلافة عمر / وعزله [٤ - ب]
عُمان عنها .

وقال غير البلاذري : ثم صار من مصر حتى قدم ترقة ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية ، على أن يبيعوا من أبنائهم

(١) انظر طبقات ابن سعد (طبعة دار صادر ودار بيروت . بيروت ١٩٥٧) :

في [جزيتهم « ما أحبوا بيعه »]^(١) [وعلى يديه تم فتح المسلمين]^(٢) لبرقة .
ثم غزا في سنة ثلاث وعشرين إطرابلس ، فحاصرها شهراً لا يقدر منها على شيء ،
ثم افتتحها في قصة غريبة ذكرها أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
في تاريخه^(٣) ، وغنم ما فيها ولم يفلت الروم إلا بما خفَّ لهم في مراكبهم . وأراد
أن يُوجِّه إلى المغرب فكتب إلى عمر رضى الله عنه : « إن الله عز وجل فتح
علينا إطرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين
أن يفتوحها ويفتحها الله على يديه ففعل »^(٤) ، فكتب إليه عمر ينهيه عن ذلك .
الظاهر من هذا الخبر تحيُّزُ إطرابلس من إفريقية^(٥) ، ولم تزل من أعمالها
قديمًا وحديثًا . قال ابن عبد الحكم : « كان سلطان جرجير من إطرابلس إلى
طنجة » . وبهذا الاعتبار ساغ لي ذكر عمرو رضى الله عنه في هذا الكتاب .
ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد — أخا خالد بن الوليد — عند النجاشي ،

(١) أضفت كلمة « جزيتهم » هنا للسياق ، وأكلت النص من فتوح ابن عبد الحكم
(طبعة تورى) ص ١٧٠ - ١٧١ وفتوح البلدان للبلاذري (القاهرة ، بدون تاريخ) ص ٢٢٤ .
(٢) عبارة الأصل هنا مضطربة . فبعد البياض الذى سددهناه (راجع الهامش السابق)
وردت كلمتا : « لبرقة إطرابلس » ، وهى عبارة غير صحيحة ، لأن لبرقة — إذ ذلك —
لم تكن تابعة لإطرابلس ، ومن ثم فهى لا تنسب إليها . ولما كانت كلمة إطرابلس ترد في آخر
السطر في المخطوط ، فقد رجعت أن ناسخاً أضافها كمنوان صغير في الهامش ، ثم أدرجها من أنى
بعده في المتن ، فاختل المعنى . فاستفتيت عنها ، وقومت النص بحسب ما أعرف عن فتح العرب
للمغرب .

(٣) راجع هذه القصة في فتوح ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، وانظر عنها
كتابنا « فتح العرب للمغرب » (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧) ص ٦١ .
(٤) راجعت النص على أصله عند ابن عبد الحكم (فتوح ، ص ١٧٢) وبقية النص :
« فكتب إليه عمر : لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفركة ، غادرة (أيضاً : الغادرة)
مفدور بها ، لا يفتوحها أحد ما بقيت » .

(٥) يريد أن إطرابلس داخلة في حوز إفريقية ، أى تبع لها .

وكانت قريش بعثتها إليه يكلمانه في مَنْ قدم عليه من المهاجرين رضى الله عنهم^(١) :

تَعَلَّمْ عُمَارَ أَنْ مِنْ شَرِّ شُبُهَةِ^(٢) لِمِثْلِكَ أَنْ يَدْعَى ابْنَ عَمِّ لَهْ ائْتَمَى^(٣)
لَنْ كُنْتَ ذَا بُرْدَيْنِ أَخْوَى مَرَجَلًا فَلَسْتَ بَرَاهِ لَابْنَ عَمِّكَ مُحْرَمًا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتْرِكْ طَعَامًا يُحِبُّهُ وَلَمْ يَنْهَ قَلْبًا هَائِمًا^(٤) حَيْثُ يَمَّا
قَضَى وَطَرًا مِنْهُ^(٥) ، وَغَادِرَ سَبَّةٍ إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمَلُّ الْقَمَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي حُرُوبِ صَفِينِ :

شُبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا مَفْرَغَ الْحَارِكِ^(٦) مَحْبُوكَ السَّبَجِ

(١) روى البلاذري في «أنساب الأشراف» (طبعة الدكتور حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩) ٢٣٣/١ - ٢٣٤ هذه الأبيات في خبر ما وقع بين عمرو بن العاص وعمار بن الوليد في الحبشة . وكان عمرو قد بعثته قريش مع عبد الله بن أبي ربيعة إلى الحبشة ليكيدا للمهاجرين المسلمين هناك ويفريا النجاشي بالتخلي عن حمايتهم ، بل القضاء عليهم . أما عمار بن الوليد فكان قد خرج إلى الحبشة في تجارة له ، وركبا نفس السفينة ، وكانت مع عمرو امرأته ، فسمى عمار في الاتصال بها . ووقع الخصام بين الرجلين ، فلما وصلا إلى الحبشة استطاع عمار أن يتصل ببعض نساء النجاشي . ويبدو أنه كان بخيلا مفتونا بنفسه ، فلم يزل عمرو بن العاص يحتال عليه حتى حصل منه على ما يثبت اتصاله بتلك المرأة ، ثم أسرع بالأمر إلى النجاشي ، فغضب على عمار ويقال إنه قتله . وفي هذه الأبيات يلوم عمرو بن العاص صاحبه عمار على ما سولته له نفسه من العدوان على امرأة ابن عمه عمرو . والخبر كله مشكوك في صحته ، والأبيات - بالتالي - مشكوك في أصالتها .

(٢) في «أنساب الأشراف» : شيمة .

(٣) في «أنساب الأشراف» : أبنا ، وهي قراءة غير صحيحة .

(٤) في «أنساب الأشراف» : غاويًا .

(٥) في «أنساب الأشراف» : منها .

(٦) الحاركة من الفرس : كاهله .

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّ فَإِذَا وَنَتِ الخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجَجَ
جُرْشَعِمْ أَعْظَمُهُ جَفْرَتُهُ فَإِذَا ابْتَلَّ مِنَ المَاءِ حَدَجٌ^(١)

وقال يخاطب معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه :

مُعَاوِيَّ إِنِّي بَعْتُ دِينِي وَلَمْ أَنْلِ^(٢) بِهِ مِنْكَ دُنْيَا^(٣) ، فَانظُرْنَ كَيْفَ تَصْنَعُ
وَمَا الدِّينَ وَالدُّنْيَا سِوَايَ ، وَإِنِّي لَأَخْذُ مَا تَعْطَى وَرَأْسِي مَقْنَعٌ
فَإِن تَعْطَى مِصْرًا فَأَرْبِحُ بِصَفْقَةٍ أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ^(٤)

[٥ - ١] / قال عمرو هذا لأنه شرط على معاوية لما تحيز إليه - وكان معه في حروبه
لعلّ رضى الله عنهم - أن يوليه ، إذا ظهر ، مصرَ طُعْمَةً ؛ فوفى له بذلك .

وَرَوَى أَنَّ عُبَيْبَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ دَخَلَ عَلَى مِعَاوِيَةَ أَخِيهِ وَهُوَ يَكْلِمُ عَمْرًا
فِي مِصْرَ ، وَعَمْرُو يَقُولُ لَهُ : « إِنَّمَا بَعَثْتُكَ بِهَا دِينِي » ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْبَةُ : « أَتَمْنَى
الرَّجُلَ بَدِينِهِ فَإِنَّهُ صَاحِبٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ »^(٥) .

(١) لم أجد هذه الأبيات في كتاب « وقعة صفين » لنصر بن مزاحم المنقري (طبعة
عبد السلام هارون) ، القاهرة ١٣٦٥ ، وهو يضم أكبر مجموع من الشعر قيل أثناء معارك صفين .
(٢) وردت هذه الأبيات في « وقعة صفين » ص ٤٤ . وقد ورد فيه هذا المصراع هكذا :
« معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل » .

(٣) في « وقعة صفين » : بذلك دنيا ، وفي مخطوط آخر : به منك .

(٤) وردت هذه الأبيات بنظام آخر في « وقعة صفين » ، وها هي بعد البيت الأول :
فإن تعطى مصرًا فأربح بصفقة أخذت بها شيخًا يضر وينفع
وما الدين والدنيا سواء ، وإني لأخذ ما تعطى ورأسي مقنع
ولكنني أغضى الجفون ، وإني لأغدع نفسي ، والخمادع يُخدع
وأعطيك أمرًا فيه للملك قوة وإني به إن زلت النمل أضرع
وتمنى مصرًا وليست برغبة وإني بهذا المنوع قدما لمولع
وقد ورد المصراع الثاني من البيت الرابع هكذا :

وَأُنِّي بِهِ إِنْ زَلْتُ النَّمْلَ أَضْرَعُ

(٥) أورد نصر بن مزاحم المنقري حديث معاوية بن أبي سفيان مع عمرو بن العاص
وكلام عتبة بن أبي سفيان بتفصيل (ص ٤٤) وهو هناك يختلف في معناه ومبناه عما هو هنا .

فأقام على مصر إلى أن توفى في خلافة معاوية^(١) . وما يُعزى إليه :
 وَأَغْضَى عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قَلْتُهَا وَلَوْ قُلْتَهَا لَمْ أَبْقِ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا
 فَإِنْ كَانَ عُودِي مِنْ نَضَارٍ فَإِنِّي لِأَكْرَهُ يَوْمًا أَنْ أَحْطَمَ خِرْوَعًا^(٢)
 وَأُنشده ابن إسحاق صاحب « المغازي » في يوم أُحد ما لم أر وجهًا لذكوره .

٢ - ابنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أبو محمد

ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي في الداخلين إفریقیة من الصحابة
 رضى الله عنهم^(٣) ، وهم قريب من ثلاثين رجلا . وكان يُخلف أباه على إمارة
 مصر ، إذ وَارِثَهَا عمرو في خلافة عُمر بن الخطاب [و] في خلافة معاوية . وهو صلى
 على أبيه عند وفاته ، ثم صلى بالناس يومَ الفطر . ولم يكن بينه وبين أبيه في السن
 إلا اثنتا عشرة^(٤) سنة ، وأسلم قبله ، وكان أحد فقهاء الصحابة وفضلائهم ،
 والمكثرين من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) .

(١) ورد بالهامش مقابل هذا السطر ما يلى : توفى بمصر ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين
 وهو ابن تسعين سنة ، ودفن بالمقطم من ناحية « الفج » ، وكانت طريق الناس إلى الحجاز .
 صح : من در السحابة للجلال الأسيوطي (كذا) .

(٢) جاء في « اللسان » : ... وكل فبت ضعيف ينتهي خروج : ٤٢٠/٩ .

(٣) انظر « رياض النفوس » لأبي بكر بن أبي عبد الله محمد المالكي (بتحقيق ناشر
 هذا الكتاب ، ١ - ، القاهرة ١٩٥١) رقم ٤ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) في « رياض النفوس » (ص ٤٣) : وكان بينه وبين أبيه في العمر ثلاث عشرة سنة .

(٥) ورد في الهامش مقابل هذا السطر بخط مختلف عن خط المخطوط : « ط . توفى بمصر
 ودفن بداره سنة سبع وسبعين في خلافة عبد الملك وسنة اثنتان وسبعون سنة . صح : من در
 السحابة » .

قال أبو محمد بن حزم الفقيه : روى عبد الله بن عمرو بن العاصي سبعمائة حديث .

وفي تاريخ ابن عبد الحكم أن عثمان رضى الله عنه كتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي مروح يؤمره على مصر [سنة خمس وعشرين] فجاءه الكتاب بالفيوم بقرية منها تدعى « دموشة » ، فجعل لأهل الجواب^(١) جُعلاً على أن يصبحوا به الفسطاط في موكبه . فقدموا به الفسطاط قبل أن يصبح [الصباح ، فأشار]^(٢) إلى المؤذن فأقام الصلاة حين طلع الفجر ، وعبدُ الله بن عمرو بن العاصي ينتظر المؤذن يدعو إلى الصلاة ، لأنه كان خليفة أبيه ، فاستنكر الإقامة ، فقيل له : صلى عبدُ الله بن سعد بالناس .

قال ابن عبد الحكم : يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربي المسجد [٥ - ب] بين يديه شمعة ، وأقبل عبدُ الله بن عمرو من نحو داره بين يديه/شمعة . فالتفت عند القبلة فأقبل عبدُ الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله بن سعد فقال : هذا بَغْيُكَ وَدَسْكَ ! فقال عبدُ الله بن سعد : ما فعلتُ . وقد كنت أنت وأبوك تحسدانى على الصعيد ، فتعال حتى أوليك الصعيد ، وأولَى أباك أسفل الأرض ، ولا أحسدكما عليه .

وكان عزل عمرو بن العاصي عن مصر وتولية عبد الله بن سعد في سنة خمس وعشرين ، صدرَ خلافة عثمان رضى الله عنه . ومن شعر عبد الله بن عمرو في صفين :

فلو شهدتُ جُمْلَ مَقَامِي وَمَشْهَدِي بَصْفَيْنِ يَوْمًا شَابَ مِنْهُ الذَّوَابُ
عَشِيَّةَ جَا^(٣) أَهْلُ الْعِرَاقِ كَانَهُمْ سَحَابُ رَبِيعٍ دَقَّقَتْهُ الْجَنَابُ^(٤)

(١) في الأصل : الطواف ، والتصحيح من ابن عبد الحكم وأبي الحسن بن تغرى يردى .

(٢) سقطت كلمات هنا ، فأضفت ما بين الحاصرتين ليتصل السياق .

(٣) في « وقعة صفين » لتصر بن مزاحم المنقرى (ص ٤٢١) : غداة غدا .

(٤) في نفس المصدر : من البحر موج بله متراكب .

وجئناهم نَزْدِي^(١) كأنَّ صفوفنا من البحرِ مَدَّ مَوْجُهُ مُتْرَاكِبٌ^(٢)
 إِذَا قُلْتَ : قَدْ وَلَّوْا سِرَاعًا ، بَدَتْ لَنَا كِتَابُ مِنْهُمْ فَارْجَحَتْ كِتَابُ^(٣)
 فِدَارَتْ رِحَانًا وَاسْتِدَارَتْ رِحَاهُمْ سَرَاةَ النَّهَارِ مَا تُوَلَّى الْمَنَاكِبُ
 وَقَالُوا لَنَا : إِنَّا نَرَى أَنْ تُبَايَعُوا^(٤) عَئِيًّا ، فَقُلْنَا : بَلْ نَرَى أَنْ تُضَارَبُوا^(٥)

هكذا وجدت هذا الشعر منسوباً إليه ، وخلاف هذه الحال كان [...] [....] .
 على أن أبا الفتوح الطائي البغدادي قد حكى في كتابه « الأربعين حديثاً »
 من جمعه أن عبد الله بن عمرو شهد مع أبيه صفين ، وكان يضرب بسيفين .
 والأصح هو الذي رواه أبو عمر بن عبد البر [في خبر يسنده]^(٧) إلى ابن

(١) رَدَى فِي الْبَرْ يَرْدِي إِذَا سَقَطَ فِيهَا أَوْ تَهَوَّرَ مِنْ جِبَلٍ . وَفِي « وَقَعَةُ صَفِينِ » : نَمَشَى .

(٢) وَرَدَّ هَذَا الْبَيْتَ فِي « وَقَعَةُ صَفِينِ » هَكَذَا :

وَجِئْنَا نَمَشَى صَفُوفًا كَأَنَّهَا سَحَابٌ خَرِيفٌ صَفَفْتَهُ الْجَنَائِبُ
 وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ بَيْتٌ لَمْ يُورِدْهُ ابْنُ الْأَبَارِ : هُوَ :

فَطَارَ إِلَيْنَا بِالرِّمَاحِ كَأَنَّهُمْ وَطَرْنَا لِإِيهِمُ وَالسِّيُوفِ قَوَاضِبُ
 (٣) فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ وَالصَّفْحَةِ وَرَدَّ هَذَا الْبَيْتَ هَكَذَا :

إِذَا قُلْتَ يَوْمًا : قَدْ وَنَوْنَا ! بَرَزَتْ لَنَا كِتَابُ حَمْرٍ وَارْجَحَتْ كِتَابُ
 (٤) وَرَدَّ هَذَا الشَّطْرَ عِنْدَ نَصْرَيْنِ مَزَاحِمِ الْمُنْقَرَى هَكَذَا :

فَقَالُوا : نَرَى مِنْ رَأْيِنَا أَنْ تُبَايَعُوا .

وَفِي الْأَصْلِ : أَنْ تُضَارَبَ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ الْقَافِيَةُ ، فَجَعَلْتُهُ كَمَا هُوَ فِي الْمَتْنِ .

(٥) أَوْرَدَ نَصْرَيْنِ مَزَاحِمِ بَعْدَ هَذَا ثَلَاثَةَ آيَاتٍ :

فَأَبْنَا وَقَدْ فَالُوا سَرَاةَ رِجَالِنَا وَلَيْسَ لِمَا لَاقُوا سِوَى اللَّهِ حَاسِبُ
 فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بِأَكْيَا وَلَا عَارِضًا مِنْهُمْ كَيْفَا يَكَالِبُ
 كَانَ تَلَالِي الْبَيْضِ فِينَا وَفِيهِمْ تَلَالُؤُ بَرْقٍ فِي تَهَامَةِ ثَاقِبُ

(٦) بِيَاضٌ بِقَدْرِ كَلِمَتَيْنِ .

(٧) أَضْفَتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ لِلسِّيَاقِ . وَالنَّجْرُ وَارِدٌ فِي « الْاسْتِيْعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ »

لِأَبِي عَمْرِو يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ النَّجْرِيُّ (طَبْعَةُ الْمَطْبَعَةِ التِّجَارِيَّةِ عَلَى هَامِشِ « الْإِصَابَةِ فِي تَمْيِيزِ
 لِلصَّحَابَةِ » لِأَمْحَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَسْقَلَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ حَجَرٍ . الْقَاهِرَةُ ١٩٣٩) ٢ / ٢٤٠ .

أبي مُنَيِّكة أن عبد الله بن عمرو بن العاصي كان يقول : « مالي ولصفيين ؟ مالي ولقتال المسلمين ؟ والله لوددت أرى متاً قبل هذا بعشر سنين » . ثم يقول : « أما والله ما ضربتُ فيها بسيف ، ولا طعمتُ برمح ، ولا رميتُ بسهم ، ولوددت أنى لم أحضر شيئاً منها . وأستغفر الله عز وجل من ذلك وأتوب إليه » . قال أبو عمر : « إلا أنه ذُكر أنه كانت بيده الراية يومئذ ، فنَدِمَ ندامة شديدة على قتاله مع معاوية . قال : وأقسم أنه إنما شهدها لعزيمة أبيه عليه في ذلك ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أطع أباك » . ذكر أبو عمر هذا^(١) في كتاب « الاستيعاب في الصحابة » من تأليفه ، ولكن الشعر — مع هذا — مذكور له في مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وغيره .

٣/ — عبد الله بن عباس ، أبو العباس^(٢)

[١ - ٦]

غزا إفريقيَّة مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان سنة سبع وعشرين وشهد فتحها ؛ ذكر ذلك أبو سعيد بن يونس في تاريخه . ثم ولى إمارة البصرة في خلافة عليّ رضي الله عنه حين استعمل أخويه عبَّيد الله على اليمن ومعبداً على مكة . وكان لعبد الله بن العباس من عمر بن الخطاب مكان . وقال لعبد الرحمن بن عوف ، وقد كلفه في حُظوته لديه : « إنه من حيث علمت » .

(١) انظر المصدر السابق ، ٢/٢٤٠-٢٤١ .

(٢) فوق هذا العنوان بخط مختلف عن خط المخطوط : « ط . توفي رحمه الله بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة . وكان يسمى البحر لسعة علمه . صح . من در الصحابة » .

وكان يقول : « ابن عباس فتى الكهول ، له لسان سؤول وقلب عقول » ؛
ويقول إذا سأل [ابن عباس] في الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : [كيف تلومونني عليه بمد ما ترون ؟]^(١)

وفي كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني أن عيينة بن مرداس
[ابن فسوة] الشاعر ، وهو المعروف بأبي فسوة ، أتى عبد الله بن العباس — وهو
عامل لعلي بن أبي طالب على البصرة ، وتحتاه يومئذ شميثة بنت جنادة بن
أبي أزيهر^(٢) الزهرانية ، وكانت قبله تحت مجاشع بن ممود الثعلبي — فاستأذن
عليه فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويحافون لسانه .
فلما دخل على ابن عباس قال له : « ما جاء بك [إلى] يا ابن فسوة ؟ » فقال له :
« وهل دونك مقصداً^(٣) أو وراءك معدى ؟ جئتك لتعيني على مروءة وتصل
قرايتي » ، فقال له ابن عباس : « وما مروءة من يعصى الرحمن ويقول البهتان
ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ؟ والله لئن أعطيتك لا عيذك على الكفر
والعصيان ! انطلق ! فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هوت أحداً من العرب
لأقطن لسانك » ، فأراد الكلام فنهه من حضر ، وحبسه يومه ذلك . ثم أخرجه
عن البصرة ، فوفد إلى المدينة بمد مقتل علي [عليه السلام] ، فلقى الحسن [بن
علي] عليه السلام [وعبد الله بن جعفر] عليهما السلام [فسألاه عن خبره مع ابن
عباس فأخبرهما ، فاشتريا عرضه بما أرضاه ، فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس
من أبيات :

(١) استعنت في سد فراغ هذا الخبر بما ذكره ابن سعد في طبقاته في سيرة ابن عباس :
« أخبرنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كان
عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم . قال : فذكر أنه سأله وسأله ، فأجابته ،
فقال لهم : كيف تلومونني عليه بمد ما ترون ؟ » الطبقات ٢ / ٣٦٥ .

(٢) في الأغاني ١٩ / ١٤٣ : شميثة بنت جنادة بن بنت أبي أزهري الزهرانية .

(٣) في الأغاني ١٩ / ١٤٣ : وهل عنك مقصرا .

لَقِيتُ^(١) ابْنَ عَبَّاسٍ فَلَمْ يَقْضِ حَاجَتِي وَلَمْ يَرْجُ مَعْرُوفِي وَلَمْ يَخْشَ مُنْكَرِي
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ زَهْرَانَ لَمْ يَنْسَ حَاجَتِي وَلَكِنِّي مَوْلَى جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ
فَلَيْتَ قَلُوصِي أَغْرَبْتُ أَوْ رَحَلْتُهَا^(٢) إِلَى حَسَنِ فِي دَارِهِ وَابْنَ جَعْفَرِ
[١-ب] / إِلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ يَا مُرَّ بِالْتَقَى وَاللَّيْنِ يَدْعُو وَالكِتَابِ الْمُطَهَّرِ
إِلَى مَعْشَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نَعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَّ مَا لَمْ يُخْصَرَ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الْيَأْسَ مِنْهُ وَقَدْ بَدَتْ أَيَادِي سَبَا الْحَاجَاتِ لِلْمَتَذَكَّرِ
تَسَنَّمْتُ حَرْجُوجًا كَأَنَّ بُفَامَتَهَا أُحْبِجُ^(٣) ابْنَ مَاءٍ فِي بَرَاغِ مَفْجَرِ
فَمَا زِلْتُ فِي التَّنْسِيَارِ حَتَّى أَنْخَتُهَا إِلَى ابْنِ رَسُولِ الْأُمَّةِ الْمُتَخَيَّرِ
فَلَا تَدْعُنِي إِذْ رَحَلْتُ إِلَيْكُمْ بَنِي هَاشِمٍ أَنْ تَصْدُرُونِي بِمَصْدَرِ^(٤)

قال أبو الفرج : كان عيينة هذا شاعراً خبيث اللسان مخوف المعرة في جاهليته وإسلامه ، وكان يقدم على أمراء العراق وأشرف الناس فيصيب منهم بشره . قال : وكان حليفاً لجميل بن معمر القرشي . ومن شعر عبد الله بن العباس ، وكان أبوه العباس أيضاً شاعراً :

إِذَا طَارَقَاتُ الِهْمِّ ضَاجَمَتِ الْفَتَى وَأَعْمَلُ فِكْرَ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ عَاكِرُ
[وَبَاكَرْنِي]^(٥) فِي حَاجَةٍ لَمْ يَجِدْ لَهَا سِوَايَ وَلَا مِنْ نَسْكَبَةِ الدَّهْرِ نَاصِرُ

(١) هذه الأبيات واردة في « الأغاني » : ١٤٤/١٩ . ولم يوردها ابن الأبار على توألتها ، وإنما اختار منها .

(٢) عند أبي الفرج الأصبهاني : « فليت قلوصى عريت أو رحلتها » . والقلووص من النوق : الشابة .

(٣) الأغاني : أحجج .

(٤) الأغاني : لمصدر .

(٥) بياض بالأصل ، وقد أكلته من كتاب « العمدة » لابن رشيق (طبعة بحبي الدين

فَرَجَتْ بِأَلَى هَمَّهُ مِنْ مُقَامِهِ وَزَايِلَهُ هَمُّ طَرَوْقٍ مَسِيرُ
وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى بَطْنِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ ، إِنِّي لِلَّذِي ظَنَّ شَاكِرُ
وَقَالَ أَيْضًا وَقَدْ عَمِيَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ : قَالَ أَبُو عَمْرِو
ابن عبد البر وغيره :

إِن يَأْخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نَوْرُ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٍ كَالسَيْفِ مَأْتُورُ
وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ تَحْسِينِ مَا يَقْبَحُ
وَقَدْ جَمَعْتُ قِطْعَةً مِنْ ذَلِكَ فِي تَأْلِيفِي لِلْخَزَانَةِ الْعَالِيَةِ الْإِمَامِيَّةِ ، الْمَوْسُومُ بِـ « قِطْعِ
الرِّيَاضِ فِي بَدَعِ الْأَغْرَاضِ » . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ :

عَمِيَتْ جَنِينًا ، وَالذِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ مُصِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْتَلًا
/ وَغَاضَ صَفَاهُ الْعَيْنَ لِلْعَقْلِ رَاوِدًا بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا [٧ - ١]
وَشِعْرُ كَنْزِ الرَّؤُوسِ لَامَسَتْ نَظْمَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلًا

وَقَالَ آخِرُ ، وَيُرْوَى لِأَبِي الْعَلَاءِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْخُضْرِيِّ :
وَقَالُوا : قَدْ عَمِيَتْ ، فَقُلْتُ : كَلَّا وَإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ
سَوَادِ الْعَيْنِ زَارِ سَوَادِ قَلْبِي لِيَجْتَمِعَا عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلْيَانَ الْقُرْطُبِيُّ النَّجْرِيُّ — الْمَعْرُوفُ بِدَرُودٍ ، وَيُقَالُ
دَرِيْدُودٌ — وَكَانَ أَعْمَى (١) :

تَقُولُ : مَنْ لِلْعَمَى بِالْحُسْنِ ؟ قُلْتُ لَهَا : كَفَّنِي عَنْ اللَّهِ فِي تَصَدِيقِهِ الْخَبْرُ

(١) تَرْجَمَ لَهُ الْحَمِيدِيُّ فِي جُلُودَةِ الْمُقْتَبِسِ رَقْمَ ٥٥٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ وَالزَّيْبِيدِيُّ فِي
طَبَقَاتِ الْفَلَوِينِ وَالنَّحَاةِ (بِتَحْقِيقِ مُحَمَّدِ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٥٥) ص ٣٢٣ ،
وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْأَخِيرِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ اسْتَأْذَنَ لِأَبْنَائِهِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٤ /
٩٤٥ - ٩٤٦ .

القلب يدرك ما لا عين تدركه والحسن ما استحسنته النفس لا البصر
وما العيون التي تعمى إذا نظرت بل القلوب التي تعمى بها النظر
ومن جيد المذر - لولا شوبه بالهجر - قول الآخر :

قالوا : العمى منظرٌ قبيحٌ قلت : بفقدى لهم يهونُ
تالله ما في الأنام شيء تأسى على فقده العيونُ

كأنه أخذه من قول سعيد بن المسيب وقد نزل الماء في عينيه ، فقيل له :
« لو قدحتهما » ، فقال : « وعلى من أفتحهما ؟ . . . » . ومثل هذا قول المرى ،
وهو عندي من المنشد :

أبا العلاء بن ساجاناً إن العمى أولاك إحساناً
لو أبصرت عيناك هذا الورى لم ير إنساك إنساناً

٤ - عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو خبيب

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح في خلافة عثمان . وهو الذي ولّى قتل
جرير^(١) ملكها واحتز رأسه وجعله في رحله ، وكبّر فانهزم الروم في خير طويل
ذكره مصعب بن الزبير في كتاب « قريش »^(٢) من تأليفه ، فوجه به ابنُ

(١) كذا ورد الاسم مضبوطاً بكسر الأول ، والشائع جرير بضم الجيم . وهو
البطريق جرجوريوس الذي كان قد استبد بأمر إفريقية بعد موت الإمبراطور هرقل وقبيل
فتح المسلمين للمغرب .

(٢) يريد أبا عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب الزبيرى وكتابه « نسب قريش »
(نشره ليثى بروفتسال ، سلسلة ذخائر الغرب ، رقم ١١ - القاهرة ١٩٥١) وأعاد نشره
في صورة أكل ومع فهارس أوفى الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٢) والجزر
وارد فيه في ص ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

أنى سرح / بشيراً إلى عثمان ، فقدم عليه ، فأخبره بفتح الله ونصره ، وخطب [٧ - ب] يومئذ بذلك فى مسجد المدينة على المنبر . قال مصعب : وبُشِّرَ عبدُ الله مقدمه من إفريقية بابنه حُبَيْب بن عبد الله ، وهو أكبر ولده .

وقال ابن عبد الحَكَم : « بعث عبدُ الله بن سعد بالفتح عُقْبَةَ بن نافع ، ويقال بل عبد الله بن الزبير ، وذلك أصح — فيقال إنه سار على راحلته إلى المدينة من إفريقية فى عشرين ليلة »^(١) . قال : « وقد قيل إن عبد الله بن سعد كان قد وجه مروان بن الحَكَم إلى عثمان من إفريقية ، فلا أدرى أفى الفتح أم بعده ؛ والله أعلم »^(٢) .

ثم ولّى ابنُ الزبير الخلافة بالحجاز والعراق وأكثر الشام ، بعد موت معاوية ابن يزيد بن معاوية . وكان قد خرج من المدينة مع الحسين بن على — إثر موت معاوية بن أبى سفيان ، ممتعاً من بيعة ابنه يزيد — وأقام بسلام عليه بالخلافة تسع سنين ، ثم قتله عبدُ الملك بن مروان على يد الحجاج سنة ثلاث وسبعين من الهجرة .

وحكى الزبير بن بَكَّار فى كتاب « نسب قريش »^(٣) له ، عن هشام بن

(١) انظر ابن عبد الحَكَم : « كتاب فتوح إفريقية والأندلس » طبعة جزئية من فتوح ابن عبد الحَكَم اقتصرت على فتح إفريقية والأندلس نشرها ألبير جاتو ALBERT GATEAU مع ترجمة فرنسية عنوانها : *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne* . وهى المجلد الحادى عشر من سلسلة Bibliothéque Arabe - Française التى تنشر فى الجزائر ، وهى طبعة جيدة ، تمتاز بتعليقات وشروح قيمة وفهارس دقيقة . والخبر المشار إليه وارد فيها فى ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

(٣) المراد كتاب « جهرة نسب قريش وأخبارها » لأبى عبد الله الزبير بن بكر (١٧٢ - ٧٨٨ / ٢٥٦ - ٨٧٠) وهو ابن أخى أبى عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى (١٥٦ - ٢٣٦ / ٧٥٤ - ٨٥٦) صاحب كتاب « نسب قريش » الذى سبقت الإشارة إليه . وقد نشر =

عروة ، قال : كان أول ما أفصح به عمى عبدُ الله بنُ الزبير - وهو صبي -
السيف ، وكان لا يرضه من فمه . فكان الزبير بن العوام إذا سمع ذلك منه يقول :
أما والله ليكون له منه يوم ويوم وأيام .
ومن شعره المشهور عنه :

وكم من عدوٍ قد أراد مساتي بغيبٍ ، ولو لاقيته انتدماً
كثير الحفنا ، حتى إذا ما لقيته أصرَّ على إثمٍ وإن كان أفسماً
وقال أيضاً ، أنشده له أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب « العمدة » من
تأليفه ؛ قال غيره : ويروى لعبد الله بن الزبير (بفتح الزاي وكسر الباء)^(١) :
لا أحسبُ الشرَّ جاراً لا يفارقني ولا أحرزُ على ما فاتني الودجا
وما لقيتُ من المكروه منزلةً إلا وثقت بأن ألتقى لها فرجا
ويُروى أن معاوية بن أبي سفيان كتب إليه :

رأيتُ كرامَ الناس إن كفت عنهمُ بحلمٍ ، رأوا فضلاً لمن قد تحلماً
/ ولا سيما إن كان عفواً بقدرةٍ فذلك أحرى أن يجِلَّ ويعظماً

[٨ - ١]

= الأستاذ محمود محمد شاكر الجزء الأول من القمم الذي عثرنا عليه منه : وهو نصف الكتاب
تقريباً (القاهرة ١٩٦٢) محققاً تحقيقاً جديراً بكل تقدير وثناء . وقدّم له بمقدمة وافية عن
الزبير بن بكار وحياته ومؤلفاته ، وقارن بين كتابه في أنساب قريش وكتاب عمه في نفس
الموضوع ، وقارن كذلك بينه وبين كتاب « جبهة أنساب العرب » لأبي محمد علي بن أحمد
ابن حزم . ومن أسف أن القمم الذي ينقل عنه ابن الأبار هنا لم نعثر عليه بعد ، وهو الجزء الثاني عشر
من الكتاب - بحسب تميزته الأصل - وأول الجزء الثالث عشر ، وهو يتناول أخبار عبد الله
ابن الزبير (راجع ص ٥ من الكتاب ، وهامش ١) . والمقصود هو عبد الله بن الزبير .

(١) واضح أن المراد هنا رجل آخر غير ابن الزبير ، وقد راجعت هذه الفقرة
على أصلها في « العمدة » لابن رشيق (طبعة محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤) - ص ١
ص ٢٤ .

ولستُ بذى لومٍ فتعذر بالذى أتيت من الأخلاق ما كان ألماً
 وإني لأخشى^(١) أن أتالك بالتي كرهت ، فيخزي الله من كان أظلماً
 فراجعه ابن الزبير :

ألا سمع الله الذى أنا عبده وأخزى إله الناس من كان أظلماً
 وأجرأ^(٢) على الله العظيم بجرمه وأسرعهُ فى الموبقات تقحُّباً
 أغركَ أن قالوا حلِيمٌ بقدرةٍ وليس بذى حلمٍ ولكن تحلماً
 وأقسمُ لولا بيعة لك لم أكن لأنقضها ، لم تنج منى مسلماً

ومارويته من طريق ابن أبي الحسن بن صخر فى فوائده ، وقرأته على
 الحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى بإسناده إلى عبد الله بن
 المبارك ، قال : حدثني يونسُ عن الزهرى ، قال : اجتمع مروان وابن الزبير عند
 عائشة رضى الله عنها ، قال : فذكر مروان بيتاً من شعر لبيد :

وما المرء إلا كالشهابِ وضوئه يعود رماداً بعد إذ هو ساطع
 فتعجب منه . قال ابن الزبير : « وما تعجبك ؟ لو شئتُ قلتُ ما هو
 أفضل منه :

فقوض إلى الله الأمورَ إذا اعترتُ فبالله - لا بالأقربين - تدافعُ
 قال مروان :

وداؤِ ضميرِ القلبِ بالبرِّ والتقى ولا يستوى قلبان : قاسٍ وخاشع

(١) فى الأصل : لا أخشى ، والصواب ما أثبتناه . وقد صوبه كذلك على هذا النحو
 ماركوس مولر ، ص ١٨٧ .
 (٢) فى الأصل : وأجرى ، والصواب ما أثبتناه ، والمراد أجرأ .

وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبد مصمّمٌ عُمَّلٌ لأرحام الأقراب قاطع

قال مروان :

وعبدٌ تجافى جنبه عن فراشه بيت يناجي ربه وهو راكع

قال ابن الزبير :

وللخير أهل يُعرفون بهمهم إذا جمعهم في الخطوب المجمع

قال مروان :

وللشر أهل يُعرفون بشكاهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

فسكت ابن الزبير ، فقالت له عائشة : « ما سمعتُ مجادلة قط أحسن من هذه ،
ولكن لمروان إرث في الشعر ليس لك » .

٥/ - مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك

[٨ - ب]

غزا إفريقيّة مع ابن أبي سرح ، ووجهه إلى عثمان رضی الله عنه ، على ما ذكره
ابن عبد الحكم حسبا تقدم . وكان ابن أبي سرح قد كتب إلى عثمان يستأذنه
في غزو إفريقيّة ، فندب عثمان الناس بعد المشورة في ذلك . فلما اجتمعوا أمر عليهم
الحُرث بن الحكم^(١) أخا مروان ، إلى أن يقدموا على عبد الله بن سعد بن
أبي سرح بمصر فيكون الأمر إليه .

(١) عند النويري ، نهاية الأرب ، الجزء الخاص بالمغرب ، مخطوط رقم ٢٢ بدار

الكتب بالقاهرة ، ورقة ١٦٣ : الحارث .

ومن شعر مروان :

اعمل وأنت من الدنيا على حذرٍ واعلم بأنك بعد الموت مبعوثُ
واعلم بأنك ما^(١) قَدِمْتَ من عملٍ مُحْصَى عليك ، وما خَلَّفْتَ موروثُ
وقد أوردت ما دار بينه وبين عبد الله بن الزبير قبل هذا ؛ وهو القائل
أيضاً بين يدي خلافته عند موت معاوية بن يزيد بن معاوية واضطراب
الأمور بالشام :

إني أرى فتنَةً تغلي مراجها والمُلك بعد أبي ليلى لمن غلبا
وذكر له الزبير بن بَكَّار وغيره رجلاً في قتل الحسين بن علي حين قَدِمَ
برأسه على المدينة ، تركتُ ذكره ؛ وكان أخوه عبد الرحمن بن الحكم من
فحول الشعراء .

٦ — ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد

غزا إفريقيَّة مع معاوية بن حُدَيْج سنة أربع وثلاثين في آخر خلافة عثمان ،
وبعثه معاوية هذا إلى مدينة يقال لها « جَلُولَا »^(٢) في ألف رجل . « فحاصرها

(١) في الأصل : قد ، وصوبناه للمعنى .

(٢) جلولوا أو جلولا ، مدينة على بعد ٢٤ ميلاً عن القيروان . وكانت مدينة كبيرة
فيها حصن بيزنطي قديم ، أصل اسمها Cululia . وقد وصفها البكري بأنها كانت مدينة
غنية كثيرة الأشجار والنار ، وبها قصب السكر (وصف إفريقية ، طبعة دي سلان ،
الجزائر ١٩١٠) ص ٣١ و ٣٣ و ٥٨ . وقد ذكرها الإدريسي باسم جَلُولَه ، ص ٢٠ .

عبد الملك أياماً فلم يصنع شيئاً ، فانصرف راجعاً . فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقية الناس غباراً شديداً ، فظن أن المدوق قد طلبهم ، فسكر بجماعة من الناس لذلك ، وبقي من بقي على مصافهم ، [وتسرع سرعان الناس] ، فإذا مدينة جلولاً قد وقع حائطها ، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها ، [وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج] « (١) .

واعبد الملك في تمنيهِ الخلافة وإجابة دعائه بذلك خبر غريب يدخل في باب الأمانى الصادقة ، وقد روته عن الحافظ أبي الربيع بن سالم بقراءتى عليه من طريق أبي علي بن سُكَّرَةَ الصدفي بإسناده إلى الشَّمَّيِّ ، قال : لقد رأيت عجيباً : كفا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير (٢) وعبد الملك بن مروان . فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني/ويسأل الله حاجته ، فإنه يُعْطَى من سعة ؛ قم يا عبد الله ابن الزبير فإنك أول مولود وُلِدَ في الهجرة . فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك عظيم تُرْجَى لكل عظيم ، أسألك بجرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ألا تميّني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم عليّ بالخلافة ؛ وجاء حتى جلس . فقالوا : قم يا مصعب بن الزبير ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء ألا تميّني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سُكَيْبَةَ بنت الحسين ؛ وجاء حتى جلس . وقالوا : قم يا عبد الملك بن مروان ، فقام وأخذ بالركن اليماني فقال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النبت بعد القفر ، أسألك بما سألك

(١) نقل ابن الأثير هذه الفقرة عن فتح ابن عبد الحكم (طبعة توري ، ص ٩٣) وقد راجعها على أصلها هناك وأكلت نقصها منه .

(٢) ورد في الهامش مقابل هذا السطر : ومصعب بن الزبير ، مع إشارة يفهم منها أن هذا الاسم ينبغي أن يدرج في المتن .

عبادك المطيعون لأمرك ، وأسألك بجرمة وجهك ، وأسألك بمحمتك على جميع خلقك ،
 وبحق الطائفين حول بيتك ، ألا تمني من الدنيا حتى توليني مشرق الأرض
 ومغربها ، ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه ، ثم جاء حتى جلس . ثم قالوا :
 قم يا عبد الله بن عمر ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك رحمان
 رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك
 ألا تمني من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي : فما ذهبت عيناي من
 الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطى ما سأل ، وبشر عبد الله بالجنة ، ورؤيت
 له . ومن شعر عبد الملك ، وقد هم بقتل بعض أهله ثم صفح عنه :

همتُ بنفسى هَمَّةً لو فعلتها لكان كثيراً بعدها ما ألومها
 ولكنني من أسرة عَبَشِيَّةٍ إذا هي هَمَّتْ أدركتها حلومها

ويروى أنه لما باعه إسراف الحجاج بن يوسف في القتل ، وتبذيره الأموال
 بعد ظهوره على عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، كتب إليه ينهاه ويتوعده ، وكتب
 في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها وتطلب رضايَ بالذي أنت طالبة
 وتخشى الذي لم يخش مثلك لم تكن كذي الدرر رد الدر في الضرع حالبة
 / فإن تر مني وثبة أموية فهذا وهذا - كل ذا - أنا صاحبه [٩ - ب]
 وإن تر مني غفلة قرشية فيأربما قد غص بالماء شاربهُ
 فلا تأمنني والحوادث جمّة فإنك تجزي بما أنت كاتبهُ
 وإني لأغضى جفن عيني على القذى وأزور بالأمر الذي أنا راکبهُ
 وأبلي لذي الذنب العظيم كأنني أخو غفلة عنه وقد جب غاربهُ
 فإن أب لم أعجل عليه ، وإن أبي وثبت عليه وثبة لا أراقبه

لجوابه الحجاج برسالة وكتب معها :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأنتي	أذاك ، فيومي لا توارى كواكبه
وما لأمري يمضى الخليفة جنة	تقيه من الأمر الذي هو راكبه
أسالم من سالت من ذى مودة	ومن لم تسأله فإني محاربه
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة	فقامت عليه بالصياح نوادبه
وإن أنا لم أذن النصيح لنصحه	وأقص الذي دببت على عقاربه
وأعطى المواسى [...]	ترد الذي ضاقت على مذاهبه
فمن يتقى بؤسى ويرعى مودتى	ويخشى [الردى] والدهر جم عجائبه
فأسرى إليك اليوم : ما قلت قلته	وما لم نقله لم أقل ما يقاربه
ومهما ترذ منى فإنى أريده	وما لم ترذ منى فإنى مجانبه
[...]	مدى الدهر حتى يرجع الدرّ حالبه

والذى أوردته من أبيات فمنقول عن إثبات ، ومجموع من تصنيفات أشبات ؛
وما كان مقولا عليهم ومنحولا إليهم ، فأنا برىء من عهدته .

المائة الثانية

٧- أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمد بن علي
ابن عبد الله بن العباس

دخل إفريقية في أيام بني أمية - وهو إذ ذاك سوقة - فراراً منهم ،
وملكها في خلافته بعد أخيه أبي العباس السفاح ، وخُلع فيها وقتاً ، ثم عادت
إليه وولّاها الأغلّب بن سالم التميمي ، جدّ الأغالبة المتداولين ملكها إلى أن غلبهم
عليها عبيد الله الشيعي فانقضوا به .

وكان يقال لأبي جعفر في صغره « مِقْلَاص » ، ألقب بذلك تشبيهاً بالمقلاص
من الإبل ، وهي الناقة التي تسن في الصيف وتهزل في الشتاء ، وكذلك كان
أبو جعفر . حكى ذلك أبو الوليد القاسمي ، قال : وهو مقلوب العادة . وليس
في خلفاء بني العباس أعلم من أبي جعفر المنصور وعبد الله المأمون ، ثم بعدهما
الرشيد والواثق ، ومن متأخريهم المسترشد بن المستظهر^(١) ؛ وأشعرهم أبو العباس
الراضي بن المقتدر .

(١) في الأصل : المسترشد من المستظهر ، والصواب ما أثبتناه . وهو أبو منصور
الفضل المسترشد بالله بن أبي العباس أحمد المستظهر بالله ، وهو التاسع والعشرون من خلفاء
بني العباس في بغداد (٥١٢ - ٥٢٩ / ١١١٨ - ١١٢٥) .

وأبو جعفر معدود في السكّلة من الملوك ، وكان يفرط في دعواه الاطلاع^(١) ،
ويقرّط بتعريض نفسه الأسماع ، فن قوله في بعض خطبه : « الملوك أربعة :
معاوية وكفاه زياده ، وعبد الملك وكفاه حجاجه ، وهشام وكفاه مواليه ،
وأنا ولا كافي لي ! » . ولما عزم على الفتك بأبي مسلم صاحب دولتهم والقائم
بدعوتهم — وقد حُدّر من عاقبة ذلك — كتب إليه عيسى بن موسى بن علي
ابن عبد الله بن العباس مشيراً بالآناة ، وكان قد شاوره فيه :

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا تدبّرٍ فإن فسادَ الرأي أن يُتبعَجَلًا
فقال المنصور يجيبه :

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ فإن فسادَ الرأي أن يُتردّدا
ولا تهمل الأعداء يوماً بقدرةٍ وبأدرهم أن يملكوا مثلها غدا
وينظر إلى هذا قول عبد الله بن المعتز :

وإن فرصةً أمكنت في العدا فلا تبدّ فعلك إلا بها
/ فإن لم تليج بابها مسرعا أمّاك عدوك من بابها
وإياك من ندمٍ بدّها وتأميل أخرى ، وأنى بها ؟

[١٠ - ب]

وقال المنصور :

نصّمتي أسراف لم أفتحهما بحزمٍ ولم تترك قواي الكراكر
وما ساور الأحشاء مثلُ دفينيةٍ من المم ردّتها عليك المصادر
وقد علمتُ أبناءه عدنان أني لدى ما عرا مقدامة متجاسر

وقال أيضا يخاطب محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، حين خرجا عليه بالمدينة والبصرة :

بني عمنا ، لا نَضَرَ عندكم لنا ولكنكم فينا سيوفٌ قواطعُ
فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتمُ وبالله أحى عنكم وأدافع
لكنتم ذُنَابِي آلِ مروانَ مثلنا عهدناكم ، واللهُ مطيِّ ومانع

٨ — عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

الداخل إلى الأندلس ، ويقال له « صقر قریش » — سماه أبو جعفر المنصور بذلك — وكنيته أبو المطرف ، وهو الأشهر في كنيته ، وقيل أبو زيد ، وقيل أبو سليمان .

هرب في أول دولة بني العباس إلى المغرب ، وتردد بنواحي إفريقية ، وأقام دهرأ في أخواله « نَفْرَةَ » من قبائل البربر ، وكانت أمه منهم « راح » ، ثم لحق بالأندلس في غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهزم أميرها يوسف ابن عبد الرحمن الفهري في يوم الخميس لتسع خلون من ذى الحجة من هذه السنة ، واستوسقت له الخلافة ليوم^(١) آخر يوم الجمعة يوم الأضحى وهو ابن ست وعشرين سنة .

ودعا لنفسه عند استغلاظ أمره واستيلائه على دار الإمارة قُرُطْبَةَ ، ويقال إنه أقام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور ، متقيلاً في ذلك يوسف

(١) أي أن الأمر استقر له في مدى يوم واحد بعد انتصاره على يوسف الفهري : انتصر عليه يوم الخميس ٩ ذى الحجة ١٣٨ واستقر له الأمر في نهاية اليوم الثالث وهو يوم الجمعة ١٥ ذى الحجة ١٣٨ .

[١١ - ١] الفِهْرِيُّ الوالى قبله ، إلى أن أفرِدَ نَفْسَه / بالدعاء ؛ ويقال إن عبد الملك بن عمر ابن مروان بن الحَكَم^(١) أشار عليه بذلك عند خلوصه إليه قبله ؛ إلا أنه لم يَعدُ اسمَ الإمارة ، وسلك الأسماء من وِلْدِه سُنْتَه في ذلك إلى عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، فهو الذى تَسَمَّى بالخِلافة بعد سنين من -إطائه ، ودُعِيَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لما استنحل أمرُه واستبان له ضعف ولد العباس وانتار سلطانهم بالشرق ، وذلك في آخر خلافة المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد منهم . ذكر ذلك أبو مروان حَيَّان بن خلف بن حَيَّان صاحب « تاريخ الأندلس » .

ومن شعر عبد الرحمن بن معاوية يتشوق معاهده بالشام ، أنشده الحَمِيدِيُّ في تاريخه :

أيها الراكبُ الميمُ أرضي أفرِّ من بَعْضِ السَّلامِ لبعْضِ^(٢)
 إن جِسمي كما علّتْ بأرضِ وفؤادى وبالكِية بأرضِ
 قُدِّرَ البينُ بيننا فافتَرَقْنَا وطوى البينُ عن جفونى عُغْضِي
 قد قضى الله بالفراقِ علينا فمضى باجتاعنا سوف يقضى

وقال أيضاً في حَيَوَة بن مُلَاسِ الحَضْرَمِيِّ^(٣) من جند حمص النازلين إشبيلية ، وكانت له منه منزلة لطيفة في أول ملكه :

(١) راجع : المصعب الزبيرى ، نسب قریش ، ص ١٦١ .

وابن حزم ، جهمرة أنساب قریش (بتحقيق ليثُ پروغنسال ، القاهرة ١٩٤٨) ص ٨٠ .

(٢) الأصل : إلى بعض ، والتصويب من « المعجب » لعبد الواحد المراكشى ، طبعة

دوزى ، ص ١٢ .

(٣) كذا ورد الاسم في « البيان المغرب » أيضا (طبعة ليثُ پروغنسال وكولان ، لايدن

١٩٥١) ٥١/٢ . ولم يَظَلْ حياة على ولائه لعبد الرحمن ، إذ أنه ثار عليه حوالى ١٤٥ / ٧٦٢

وتغلب على إشبيلية وأمسجته وأكثر الغرب ، فخرج إليه عبد الرحمن وقاتله قتالا عنيفاً بضعة أيام .

وقد كاد عبد الرحمن أن ينهزم أول الأمر ، ولكنه ثبت حتى ملك ناصية المعركة فانهزم حياة

ومن معه من أهل اليمن ، وهرب إلى ناحية فَرَشِش شمال قرطبة ، ومن هناك كتب إلى عبد الرحمن

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا غاب عنها حيوة بن ملامس
 أخو السيف ، قارى الضيف ، حقاً يراها عليه ، ونأى الضيم عن كل بائس^(١)
 وحكى عيسى بن أحمد الرازى أن عبد الرحمن بن معاوية — أول نزوله
 منية الرصافة بقرطبة واتخاذها لها — نظر إلى نخلة مفردة ، فهاجت شجنه وتذكر
 بلد المشرق فقال بديهاً :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
 فقلت : شبيهي في الغرّب والنوى وطول التناى عن بئى وعن أهلى
 نشأت بأرض أنت فيها غريبة فثلك في الإقصاء والمنتأى مثلى
 سقتك غوادى المزن من صوبها الذى يسح ويستمى السماكين بالوبل
 / وقال أيضاً فيها :

يا مخل أنت غريبة مثل فى الغرب نائية عن الأصل
 فابكى ، وهل تبكى مكبسة عجماء لم تطبع على خبل ؟
 لو أنها تبكى ، إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل
 لكنها مدهت ، وأذهلتى بفضى بنى العباس عن أهلى

وقد قيل إن الأبيات الأربعة الأولى لعبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن
 بشر بن مروان بن الحكم ، قالها عند دخوله الأندلس فراراً من بنى العباس
 فى صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية . وقيل فى الأبيات الأخيرة إنها لعبد الملك

يسأله العفو عنه . وثورة حيوة بن ملامس حلقة من صراع عبد الرحمن الداخل مع اليمنيين الذين
 ظنوا بعد وصوله إلى الإمارة بفضلهم (مع البربر) أن الدولة ستكون لهم ، وساءم أن وجدوا
 عبد الرحمن يريد أن ينتهج السياسة التى تتفق ومصالح العرش الذى أقامه ، سياسة إنصاف
 ومساواة بين السكان جميعاً . وقد انتهت ثورات اليمنيين بعبد الرحمن إلى الانصراف عنهم جملة ،
 والميل إلى الشامية وتفضيلهم .

(١) كذا فى الأصل ، وقد قرأها دوزى ، ص ٣٤ : يانس .

ابن عمر بن مروان بن الحكم ، وقد اجتاز في قصده قرطبة ، حضرة الأمير عبد الرحمن بن معاوية — [على] ما حكى الحافظ — بمدينة إشبيلية ، فرأى في موضع منها — يعرف بـ « النخيل » إلى اليوم — نخلة مفردة ، فاحفته^(١) رقة عند النظر إليها ، وقال بديهاً الأبيات المذكورة .

ومما يرُدُّ هذا القول ويقوى نسبتها — أعنى الأبيات الأخيرة — لعبد الرحمن ابن معاوية ، ما حكى الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في تاريخه ، وقرأته على القاضى أبى الخطاب أحمد بن محمد بن واجب القيسى بمدينة بلنسية عنه قراءة عليه بحضرة قرطبة ، قال : قال أبو بكر محمد بن موسى بن فتح ، يُعرف بابن الغراب^(٢) : دخلت يوماً على أبى عثمان بن القزّاز وهو يعاقى فقلت له : رأيت الساعة في توجّهى إليك القاضى والوزراء والحكام والمدول قد نهضوا بجمعهم إلى حيازة^(٣) الجنة المعروفة بـ « رَبَنَائِش »^(٤) ، وهبها هشام للمظفر بن أبى عامر . قال : فقال لى ابن القزّاز : إن هشاماً لضعيف ، هذه الجنة المذكورة

(١) العبارة ابتداء من « حضرة الأمير » إلى هنا وردت في الهامش بخط مختلف مع إشارة في المتن إلى موضعها حيث جعلناها . وعند كلمة « الحافظ » كتب نفس الكاتب كلمة « صح » دون أن يعين اسم الحافظ الذى كتب عنده هذا اللفظ ؛ ويغلب على ظنى أن المراد هنا أبو يوسف عمر بن عبد البر .

(٢) كذا في الأصل ، وقد جعلها دوزى ، ص ٣٥ : القراب ، والصحيح ما أثبتناه .
(٣) الأصل جيازة ، وقد قرأها دوزى حيازة وفسرها بالخذق أو الفصيل (une digue) اعتماداً على ما ذكره فييسرُزُ Weijers في شروحه على القطع التى نشرها من كلام ابن خاقان بعنوان *Locis Ibn Khacanis* ص ٢٣ وتعليق رقم ٦٦ ص ٨٣ .

(٤) الأصل : رُبَنَائِش ، وقرأها دوزى رُبَالِش والصحيح رُبَنَائِش وهى *Rabanales* ، ولا زال هذا الاسم يطلق على منطقة حدائق على خمسة كيلومترات شمال شرق قرطبة .

cf : LÉVI PROVENÇAL, *L'Espagne musulmane au X^e siècle*, (Paris, 1932), p. 225, note 3.

وقد روى نفس الخبر ابن بشكوال في الصلة في ترجمة سعيد بن عثمان بن أبى سعيد بن محمد ابن سعيد بن عبد الله بن يوسف البربرى اللغوى الذى يعرف بابن القزّاز المذكور هنا (رقم ٤٦٢ ص ٢٠٦-٢٠٧) .

هي أول أصل اتخذها عبد الرحمن بن معاوية ؛ وكان فيها نخلة أدركتها بسني ، ومنها توالت كل نخلة بالأندلس . قال : وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن معاوية ، وقد تنزه إليها ، فرأى تلك النخلة فصن : « يا نخل أنت غريبة مثلي » ، وذكر الأبيات إلى آخرها .

وحكى أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الحدائق » المؤلف للحكم المستنصر بالله من أشعار الأندلسيين ، قال : باننى أن بعض الوفود من قریش كتب إلى الإمام عبد الرحمن بن معاوية — رحمه الله — يستعظم حقه عليه بالرحم ويستقل حظه منه بالمستطعم^(١) ، فوقع في ظهر كتابه :

[١٢ - ١]
 / شتان^(٢) من قام ذا امتعاضٍ مُنتَضِي الشفرتين نَصَلًا
 نجاب قفراً ، وشق بجرأ مُسَامِيًا لجةً ومَخَلًا
 فشاد مجدأ وبز مُلْكًا^(٣) ومنبرأ للخطاب فصلا^(٤)
 وجند الجند حين أودى ومصر المِصرَ حين أخلى^(٥)
 ثم دعا أهله جميعاً^(٦) حيث اتأوا ، أن : هلم أهلا^(٧)

(١) كذا في الأصل . وقد قرأها دوزى (ص ٣٥) بالمستطعم ، وهي قراءة أركن مما في الأصل . وفي نفس المناسبة يقول ابن عذارى : « ومن شعره البديع الرائع ، ما كتب به إلى بعض من طرأ عليه من قریش ، وكان قد استقل جرابته (في نسخة : جزايته) واستطال بقرابته ، وسأله الزيادة له والتوسعة ، فكتب إليه هذه الأبيات . . . » . البيان المغرب ، ٥٩/٣ .

(٢) قرأها دوزى هنا : سيان (ص ٣٥) وكذلك قرأ ليبي پروئنسال وكولان . انظر البيان المغرب ، ٥٩/٢ .

(٣) ورد هذا الشطر في صور شتى . في نفع الطيب : دبر ملكا وشاد عزا .

وعند ابن عذارى (٥٩/٢) : فتر ملكا وشاد عزا .

وفي مخطوطة أخرى من البيان : فشاد ملكا وشاد عزا .

(٤) عند ابن عذارى (٥٩/٢) : وفائرا للخطاب فصلا .

(٥) عند ابن عذارى (٥٩/٢) : وأجلا .

(٦) في نفع الطيب : ثم دعا أهله إليه .

(٧) الأصل : انتأوا ، وكذلك عند ابن عذارى .

نَجَاءٌ^(١) هذا طريدَ جوعٍ شريدَ سيفِ أبادِ قتلا
 فنال أمناً ، ونال شيمًا وحاز مالا ، وضمَّ شملا
 ألم يكن حقُّ ذا على ذا أعظمَ من منعمٍ ومولى ؟
 وبعض هذا الشعر عن ابن حَيَّان ، وأوله عنده :

شتان من قام ذا امتعاضٍ فشال ما قلَّ^(٢) واضمحلاً
 ومن غدا مُضَلَّتْ لعزمٍ مُجَرِّدًا للعِداةِ نصلاً
 فحَابَ قفراً ... البيت .

وبعده :

* فَبِرِّ مُلْكَ وَشَادَ عِزًّا *

إلا أن ابن حَيَّان ذكر عن معاوية بن هشام الشَّبَانِسِيِّ^(٣) ، أن جُلُساء
 عبد الرحمن القادمين عليه من قَلَّ^(٤) أهله بالشام ، حدثوه يوماً ما كان من

(١) الأصل : فجاج .

(٢) الأصل : قال ، وقد صوبه دوزي كما أثبتناه في المتن ، وهو أصح .

(٣) هو معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية القرشي المرواني ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الرحمن ويعرف بابن الشَّبَانِسِيِّ ، من جلة الفقهاء والعلماء على أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ، توفي سنة ٢٩٨ / ٩١٠ - ٩١١ (ابن الأبار ، التكلة ، رقم ١٠٧٧ ص ٣٧٩) . ويعرف أيضاً بالشَّبَانِسِيِّ ، وهي نسبة حملها نفر من سلالة هشام الرضا ثاني أمراء بني أمية في الأندلس ، أول من تفرقه منهم معاوية هذا ثم ابن أخيه معاوية بن هشام بن محمد بن هشام ، وهو مؤرخ ومؤلف معروف ينسب إليه كتاب في تاريخ دولة بني مروان في الأندلس وكتاب في نسب العلوية وغيرهم من قريش سماه بـ «التاج السني في نسب آل علي» (انظر التكلة لابن الأبار ، رقم ١٠٧٨) . وقد ذكر ابن حزم في « الطوق » من أبناء هذا البيت أبا محمد قاسم بن محمد القرشي المعروف بالشباني . وقد ذهب سانثيث ألبورنوث إلى أن الشباني معرب عن *sapientia* أي العلم ، ولكن الغالب أنه نسبة إلى موضع يسمى شَبَانِس ، وواضح أن الربط بين الشباني والشبانية ولفظ سَابِيْنَسِيًّا مفتعل .

(٤) الأصل : جل ، وقد قرأها دوزي : من جواله أهله (ص ٣٦) .

العَمْرُ بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ابن عمه أيامَ محنتهم ، وكلامه للعباس .
الساطي ٣٣٠م — ونَسَب ذلك إلى عبد الله بن علي ؛ وفي « الأوراق » للصولي .
أن السفاح عبد الله بن محمد بن علي تولى قتل العَمْر ، وقد نخر في مجلسه بمناقب .
قومه — وكَثُر القوم في وصف ذلك وَعَجَّوا به ، فكانَ الأمير عبد الرحمن
احتقر ذلك في جنب ما كان منه هو في الذهب بنفسه لاقتطاع قطعة من مملكة
الإسلام عن عَدُوِّه ، وقام من مجلسه فصاغ هذه الأبيات بديهة .

قال ابن الفرج ^(١) : وأتاه في بعض غزواته آت ممن كان يعرف كلفه
بالصيد ، فأخبره عن غرائق واقعة ^(٢) في جانب من مضطرب المسكر وحره كة
إلى اصطيادها ، فقال :

دعني وصيد وُقِّع الغرائقِ فإن هَمِّي في اصطياذ المارقِ [١٢-ب]
في نفقٍ إن كان أو في حاليقِ إذا التظتْ لوافح الضوائقِ
كان لِفَاعِي ^(٣) ظلَّ بندٍ خافقِ غَنَيْتُ عن روضٍ وقصرٍ شاقِ

(١) المراد ابن فرج الجياني صاحب «كتاب الحدائق» وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني من أهل جيان ونزِيل قرطبة ، وكان من شعراء عصر الحكم المستنصر ، وكان أخواه سعيد وعبد الله أيضاً شاعرين . ولا نعرف عن حياته إلا ما ذكره ابن خاتقان في المطمح (القاهرة ١٣٢٥) ص ٨٦ من أنه كان عفيف الخلق شديد الزهو بنفسه خليماً ، وقد قربه الحكم المستنصر ثم بدرت منه بادرة دفعت الحكم إلى إيداعه السجن فظل فيه إلى أن مات . وقد ألف ابن فرج الجياني كتابه معارضاً لكتاب الزهرة لمحمد بن داوود الأصفهاني وإظهاراً لفضل أهل الأندلس على المشاركة .

انظر: الفسبي ، بغية ، رقم ٣٣١ . المقرئ ، نفع الطيب (طبعة دوزي وكرييل ورايت . ودوجا) ٢/٢٩٦ و ٤٥٢ .

cf : ELIAS TERÉS, *Ibn Faray de Jaén y su Kitāb al-Badā'iq*. Al-Andalus, vol. XI (1946) fasc. 1, pp. 131-157.

(٢) قرأ دوزي : واقفة .

(٣) اللفَاع والمَلْفَمَة ما تُلْفَعُ به من رداء أولخاف أو قناع ، قال الأزهري : يجلل

به الجسد كله كسائه كان أو غيره (اللسان : ١٠/١٩٦) .

بالقفرِ والإيطانِ بالسرادقِ فقل لمن نام على النمارق :
 إن العلاء شُدَّتْ بهمُّ طارقِ فاركبْ إليها تَبَجَّ المضائقِ
 أولاً ، فانت أَرذَلُ الخلائقِ

٩ - ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

وَلَى الخِلافةَ بالأندلس بعد أبيه يوم الأحد غرة جمادى الأولى من سنة
 إحدى وسبعين ومائة . وكانت وفاة أبيه وهو بماردة يوم الثلاثاء لست بقين
 من ربيع الآخر ، وبقرطبة وُلد له هشام هذا لأربع خلون من شوال سنة
 تسع وثلاثين ومائة ؛ ويعرف بـ « الرضا » لعدله وفضله ، ويكنى « أبا الوليد » .
 واستوزره أبوه عبدُ الرحمن وأخاه كبيره سليمان المولودَ بالشام تنويهاً بحالهما ،
 وأخذها بالركوب إلى القصر ومشاهدة مجالس مشورته . وكانا يركبان متداولين
 ومتناولين لا يجتمعان : فإذا كان يوم هشام ، تاهبوا حاضر المجلس من كبار
 أهل المملكة [... ..]^(١) والإفاضة في الحديث إلى إنشاد شعر أو ضرب
 مثلٍ أو ذكر يوم من أيام العرب أو ذكر حرب أو اجتلاب حيلة أو حكاية
 تدير أو إحماد سيرة ؛ وإذا كان يوم سليمان خلا من ذلك كله ، وانبسط الحاضرون
 في غث الأحاديث وأخذوا في الدعابة .

ويروى أن رجلاً يعرف بالهوّارى دخل على هشام في حياة أبيه عبد الرحمن
 ابن معاوية - وهو مرشح للخلافة - فقال له إن فلاناً مات عن ضيعة تعود
 بكذا وكذا من الغلة ، وأنها تباع في دين أو عن وصية ، وهي ناعمة مثمرة وطيبة
 الأرض مخصبة ، وحضه على اشتريها . فقال له : « أنا أريد أمراً إن بلقته

(١) أسقط الناسخ هنا شيئاً ولم يترك بياضاً .

غَنِيَتْ عَنْهَا ، وَإِنْ قُطِعَ بِي دُونَهُ خَسِرْتُهَا ؛ وَلَا صِطْنَاعَ رَجُلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
اِكْتِسَابِ ضِيْعَةٍ . « قَالَ لَهُ الْهَوَّارِيُّ : / فَاصْطَنِعِي بِهَا تَجْدُ أَكْرَمَ مِصْطَنِعٍ . » [١٣ - ١]
فَأَمَرَ بِاِبْتِيَاعِهَا^(١) ، فَأَشَارَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ إِلَيَّ أَنْ اِسْتِعْمَادَ بِالْمَالِ أَعُونَ عَلَيَّ دِرْكُ
الْأَمَالِ ، فَأَطْرَقَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ :

البذلُ - لا اِجْمَعُ - فِطْرَةَ الْكِرْمِ - فَلَا تُرِدُ بِي مَا لَمْ تُرِدْ شَيْمِي
مَا أَنَا مِنْ ضِيْعَةٍ وَإِنْ تَعَمَّتْ ؟ - حَسْبِيَ اصْطِنَاعُ الْأَحْرَارِ بِالنَّعْمِ -
مُلْكُ الْوَرِيِّ ، وَالْعِبَادِ قَاطِبَةٌ - لَا مِلْكَ بِمِضِ الضِّيَاعِ - مِنْ هِمِّي^(٢)
تَفِيضُ كَفِّي فِي السَّلْمِ بِحَرِّ نَدْيِي - وَفِي سِجَالِ الْحُرُوبِ بِحَرِّ دَمِ -
تَزَلُّ عَنْ رَاحَتِي الْبُدُورِ ، وَمَا تَمَسَّكَ غَيْرَ الْحَسَامِ وَالْقَلَمِ
لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْمَلِكِ الْأَمْجِدِ - مَعَ نَشْدَانِ ضَالَّةٍ كَلَامِهِ - غَيْرَ هَذَا
« الْمُنْشَدِ . وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً فَكُنِي دَلِيلًا عَلَى سَرَفِ الْجَبَاءِ وَشَرَفِ الْخَوْبَاءِ ، حَتَّى
كَأَنَّ أَعْشَى هَمْدَانَ سَمِعَ بِطَوْلِهِ فَاعْتَمَدَهُ بِقَوْلِهِ :

رَأَيْتُكَ أَمْسِي خَيْرَ بَنِي أُوَيْيَ وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسِي
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفًا كَذَلِكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَبْدِ شَمْسٍ

١٠ - ابْنُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ الْمَعْرُوفِ بِالرَّبِضِيِّ ، أَبُو الْعَاصِي

وَلَيْ بَعْدَ أَيِّهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ صَفْرِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .
وَكَانَ شَجَاعًا بَاسِلًا ، أَدِيبًا مَفْتَنًا ، خَطِيبًا مَفْوَهًا ، وَشَاعِرًا مَجُودًا ، تُحْذَرُ
صَوْلَاتُهُ ، وَتُسْتَنْدَرُ أَيْبَاتُهُ .

(١) السِّيَاقُ يَقْتَضِي هُنَا أَنْ تَقْرَأَ : بِاِبْتِيَاعِهَا لَهُ .

(٢) الْأَصْلُ : مِنْ .

وهو الذي أوقع بأهل « الرَبَضِ » فنُسب إليه ، وأمر بهدمه وتمطيله ، وصيّر ذلك وصيةً فيمن خلفه وعهداً على بنيه ما كان لهم سلطان بالأندلس . فلم يُعمر ولا اختطت فيه دار إلى آخر دولتهم ، ثم بعدها إلى أن ملك الروم قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وأقام على ذلك نحواً من أربعائة سنة وثلاثين سنة ؛ ولا أعلمه إلا كذلك إلى اليوم .

وكانت وقعة الرَبَضِ الشنءاء يوم الأربعاء النجسة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين ومائتين في آخر / خلافة الحكم ، ويوم الخميس بعده [١٣-ب] أمر بهدم الرَبَضِ القبلى الذى منه نشأت الفتنة ، فأعيد بطحاء مزرعة ، بعد أن قتل من أهله مقتلة عظيمة وأسر خلقاً جماً ، صلب منهم نحو ثمانمائة صُفوا من إزاء « باب القنطرة » إلى آخر « المصارة »^(١) مع ضفة النهر ، لم ير فيما سلف مُمَثّلون أكثر منهم عدداً ولا أهول منظرأ . وتماذى القتل والنهب لمنازلهم والتتبع المُستخفّينهم ثلاثة أيام ، لم تُقلّ لمن عُثر عليه منهم عشرة ، وجرت عليهم خلافتها بحن لا تضبطها الصفة . وكفّ الحكم عن الحُرَمِ ووصى من فأنجل في ذلك ما شاء .

(١) باب القنطرة ، باب من أبواب سور قرطبة ، وكان قريباً من القنطرة - والمراد قنطرة الوادى ، أى الوادى الكبير - وهى القنطرة التى كانت تصل قرطبة بربضها الواقع على الضفة الأخرى من النهر ، وهو ربض شقندة ، معرب من اللاتينى Secunda . وكان هذا الربض مسكن العمال وأهل الأسواق ، وفى هذا الربض قامت الثورة على الحكم بن هشام ، وانجلى عن هزيمة الثائرين وطرد أهله من الأندلس ، وهدم بيوته وتحويل جزء منه إلى مدافن عرفت بمقبرة الربض . ولم يعمر هذا الموضع إلا بعد أيام المسلمين ، ويقوم فيه اليوم حى من أحياء قرطبة الحالية يعرف باسم حى الروح المقدس Barrio del Espiritu Santo ، وعلى مدخل هذا الحى ، فى مواجهة القنطرة يقوم الحصن المعروف بحصن قلهرة Castillo la Calahorta وقد أنشئ بعد أيام المسلمين . أما المصارة Al-Musara فكان قبل الفتح العربى ضاحية قريبة من قرطبة إلى جنوب غربى البلد على ضفة النهر ، ثم اتصلت بها ، وأصبحت جزءاً منها ، ولكنها ظلت خارج السور .

ولما انقضت الأيام الثلاثة أمر برفع القتل وتأمين القلِّ ، على أن يخرجوا من حضرته قرطبة ، فساروا عن أوطانهم كلٌّ بحسب ما أمكنه . واستمروا ظاعنين على الصعب والذلول ، في يوم الأربعاء لعشرٍ بقين من شهر رمضان المؤرخ ، متفرقين في قصى الكور وأطراف الثغور . ولحق جمهورهم بطائفة لخالفه أهلها الحكم ، ولجأ آخرون إلى سواحل بلاد البربر . وأصعدت منهم طائفة عظيمة - نحو الخمسة عشر ألفاً - في البحر نحو المشرق ، حتى اتهموا إلى الإسكندرية ، وذلك في أول ولاية عبد الله المأمون بن الرشيد ، فعآزهم أهلها وذهبوا إلى إذلالهم ، فأبوا الضيم وثاروا بهم فملبوهم ، وبدلوا السيف فيهم ، وقتلوا كثيراً منهم وسطوا بهم سطوة منكرة ، وملكوا الإسكندرية مديدة . إلى أن ورد عبد الله بن طاهر أميراً على مصر من قبل المأمون ، فصالحهم على التخلي عنها على مالٍ بذله لهم ، وخيرهم في النزول بحيث شاءوا من جزائر البحر ، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي . وكانت يومئذ خالية من الروم ، فاحتملوا إليها بقتلتهم ، ونزلوها فاعتمروها ، وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم .

وحكى ابن حتيان ، عن أبي بكر بن القوطية وغيره ، أن الحكم غرّب في بأساء حربه هذه - عندما حمى وطيسها وأعضل^(١) خطبها - بناديرة من نوادر الصبر والتوطين على الموت ما سُمع لأحدٍ من الملوك مثلها : وذلك أنه في مقامه بالسطح^(٢) ، وعند بصره بأشتداد الحرب وجُثوم الكرب وسماعه قعقة السلاح واتباء الأبطال ، دعا بقارورةٍ غالية لتُدنى منه ، فتوانى بها عنه

(١) الأصل : أعطل ، ولم أجد له معنى هنا فعدته على ما أثبت في المتن .

(٢) يريد سطح القصر ، وكان يرقب منه جماهير أهل الربض التي أقبلت تهاجه . وسطح

القصر كثير الورد في أخبار المروانيين الأندلسيين .

[١٤-١] خادمه المسمى « يَزَنْت »^(١) ، ظنًا منه / أنه لهج في منطقة ، فصاح به وزجره ،
 — وفي رواية أخرى : فكانَّ الخادمَ شَكَّ في طلبته واتهم سمعه ، فتوقف عن
 المضى لأمره ، فصاح به الحُكْم : انطلقْ يا ابن اللخناء فمَجَّلْ - فجاءه بالقارورة
 فأفرغها على رأسه وحلته ، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له : « وأيةُ ساعةٍ طيبٍ
 هذه يا مولاي فستعمله ، وقد ترى ما نحن فيه ؟ » فقال له : « اسكت لا أمَّ لك !
 من أين يعرف قاتلُ الحُكْمِ رأسه من رأسٍ غيره إذا هو حزه ، إن لم يفرق
 الطيب بينهما ؟ » . ثم استلَّامَ للحرب ، وأمر بتفريق السلاح والخيل على أجناده ،
 وأنهبهم لقتال من جاش به ، بعد أن كتبهم كتائب قوَّد عليها كباراً من
 قواده وأهل بيته ، فانهزمت العامة بعد قتال شديد ، ولم تكن لأحد منهم
 كَرَّةٌ ؛ وكانوا كالذبا^(٢) كثيرة .

قال : ولم يفل الحُكْم بعد وقعة الرَبَضِ حلاوة العيش ، وامْتَحِنَ بعله
 صعبة طاوانته أربعة أعوام ، فَلَتَّ غَرَبَهُ وأطالت ضنَّاه ، واحتجب فيها آخرَ مدته
 واستناب ولده عبد الرحمن في تدبير ملكه ، فمات على توبةٍ من ذنوبه وندمٍ على

(١) كذا ورد الاسم في الأصل ، وورد في الأخبار المجموعة « بزنت » بالياء . وقد
 ذهب دوزي إلى أن يَزَنْتُ أو يَزَنْتُ هو الصورة العربية لاسم أبييرى روماني : Jacinto ،
 ولا زال هذا الاسم مستعملاً في إسبانيا إلى اليوم ، وهو مأخوذ من اللفظ اليوناني **Hyacinthe**
 ومعناه « ياقوت » . أما ريبيرا Julián Ribera فقد قرأه بالياء وكتبه في الترجمة الإسبانية
 للأخبار المجموعة Vincent وهي الصورة القطلونية للاسم المعروف Vincent . والقرامتان
 مقبولتان .

cf : DOZY, *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almorayides*. Nouvelle édition revue et mise à jour par E. Lévi-Provençal, Leyde, 1932 vol. I, p. 298 et note.

الخشي ، تاريخ قضاة قرطبة ، بتحقيق خليان ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ . مقدمة الترجمة
 الإسبانية ص ٢١ .

(٢) والذبا صغار الجراد أو النمل .

ما اقتترف منها بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين^(١) .

ومن شعره في ذلك يعذر نفسه بالدفاع عن ملكه والحماية لسلطانه ، وهو من أحسن شعر قيل في معناه :

رَأَيْتُ ^(٢) صَدْوَعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعًا ^(٣)	وَقَدِمًا لِأُمَّتِ الشَّعْبِ مَذُكَّتْ يَافِعًا
فَسَائِلُ ثَعُورِي : هَلْ بَهَا الْيَوْمَ تُعْرَةُ	أُبَادِرُهَا مُسْتَنْصِي السَّيْفِ ^(٤) دَارِعًا
وَشَافِيهِ عَلَى ^(٥) الْأَرْضِ الْفَضَاءَ جَاجِمًا	كَأَخْفَابِ شِرْيَانِ الْهَيْبِيدِ لَوَامِعًا
تُنْبِئُكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ	بِوَانٍ ، وَقَدِمًا ^(٦) كَفْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعًا
وَأِنِّي إِذَا حَادُوا حَذَارًا ^(٧) عَنِ الرَّدِيِّ	فَلَسْتُ أَخَا حَيْدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَارِعًا
حَمَيْتُ ذِمَارِي فَانْتَهَكْتُ ذِمَارَهُمْ	وَمَنْ لَا يُحَامِي ظِلَّ خَزْيَانَ ضَارِعًا

(١) كانت ثورة الربض - أو هيج الربض ، كما تسمى في النصوص - بعيدة الأثر في سلوك الحكم الربضي بصفة خاصة وسياسة خلفائه من بني لُحَيْجَة الأندلسيين حيال أهل قرطبة . وشعب الأندلس بصفة عامة . فأما الحكم فقد امتعظ بما وقع خلالها فلم يعد إلى الاستبداد والصف والاستخفاف بالناس ، كما كان يفعل قبلها ، لأنه عرف أن سلوكه الأول واستخفافه بالدماء هما سبب هذه الفتنة الكبيرة ، ثم إن إسراره في القتل وإجلاء أهل الربض عن دورهم ثم هدمه وتحويله إلى أرض زرع ، كل ذلك كان بعيد الأثر في نفسه ، فالإتي للتكفير عما اقتترف . وقد ظل على ذلك حتى توفي في ٢٥ ذى الحجة سنة ٢٠٦ / ٢١ مايو ٨٢٢ . وأما بالنسبة لسياسة خلفائه فقد تعلموا احترام الناس وحقوقهم وسلوكوا حيالهم سياسة لين وفهم واحترام ، فلم يقع مثل هيج الربض بعد ذلك .

(٢) قرأها دوزي : رأيت .

(٣) في النسخ : راقما .

(٤) في النسخ : العزم .

(٥) في الأصل : مع .

(٦) في النسخ : وإني .

(٧) في النسخ : يجرعا .

وَلَمَّا تَسَاقَيْنَا سِجَالَ حُرُوبِنَا سَقَيْتَهُمْ سَجَالًا^(١) مِنَ الْمَوْتِ نَاقِمًا
وَهَل زِدْتُ أَنْ وَفَيْتَهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقَوْا^(٢) مَنَائِيَا قُدِّرْتُ وَمَصَارِعَا
[١٤-ب] / فهناك بلادي^(٣) إني قد تركتها مهياً ، ولم أترك عليها منازعا

قال عثمان بن النثني النحوي^(٤) المؤدب : قدم بعد الوقعة علينا عباس بن

ناصر^(٥) قُرْطَبَةَ أَيَّامَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ ، فَاسْتَشَدَّنِي شِعْرَ الْأَمِيرِ
الْحَكَمِ فِي الْهَيْجِ فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

وَهَل زِدْتُ أَنْ وَفَيْتَهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقَوْا مَنَائِيَا قُدِّرْتُ وَمَصَارِعَا
قال عباس : « لَوْ أَنَّ الْحَكَمَ يَخْشَى^(٦) لِلْخُصُومَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الرَّبِضِ
لَقَامَ بَعْدَهُ فِيهِمْ هَذَا الْبَيْتُ ». وفي رواية^(٧) : إذا كانت الخصومة بينه وبين
أهل الربض أجبرته^(٨) ، فإن هذا البيت ليُحاجِّجُ عنه يوم القيامة .

(١) النفع : سماً . والسَّجَلُ الدلو الضخمة المملوءة ماء (اللسان : ٣٤٦/١٣) .

(٢) النفع : فواقوا .

(٣) الأصل : سلاحي ، والتصويب من النفع .

(٤) عثمان بن النثني من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الملك ، من أهل الأدب والنحو . رحل

إلى المشرق « فلقى جماعة من رواة القريب وأصحاب النحو والمعان ، منهم محمد بن زياد الأعرابي ،
أخذ عنه وعن غيره ، وقرأ على حبيب بن أوس (الطائي ، وهو أبو تمام) وأدخله الأندلس -
رواية عنه ، وأدب أولاد الإمام عبد الرحمن بن الحكم وأولاد محمد . وعمر إلى أن بلغ ٩٩ سنة ،
وتوفى رحمه الله سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٧ م) ابن الفرضي ، علماء ، رقم ٨٨٩ ص ٢٤٩ .

(٥) عباس بن فاصح الثقفى الجزيري نسبة إلى الجزيرة الخضراء ، إذ أن الحكم الربضي

ولاه قضاها . كان شاعراً نحوياً مؤدباً ترجم له ابن الفرضي (رقم ٨٧٩ ج ١ ص ٢٤٥) وقال
إنه رحل إلى الأندلس ولقى أبا نواس وسمع منه شعره . وترجم له ابن سعيد في المغرب (بتحقيق
الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة بدون تاريخ) ١ / ٣٢٤ . وانظر عنه : الدكتور إحسان عباس ،
تاريخ الأدب الأندلسي (بيروت ١٩٦٠) ص ٣٦-٣٧ .

(٦) الأصل : يخشى ، وقد قرأها دوزي : يخشى .

(٧) في الهامش على اليمين مقابل هذا السطر - للخصومة في الربض .

(٨) الأصل : جبرته ، ويمكن قراءته أيضاً : أجبرته .

وله أيضا في ذلك :

غِنَاهُ صَلِيلِ الْبَيْضِ أَشْهَى إِلَى الْأَذْنِ
إِذَا اخْتَلَفَتْ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا
بِهَا يَهْتَدِي السَّارَى وَتَنْكَشِفُ الدَّجَى
شَقَقْتُ غَمَارَ الْمَوْتِ تُخْطِئُ مَهْجَتِي
إِذَا لَفَحَتْ رِيحُ الظَّهَائِرِ لَمْ يَكُنْ
وَإِنْ لَمْ يَجِدْ حَصَنًا سِوَى الْفَرِّ مُقَدِّمٌ
قَذَفْتُ بِهِمْ [مِنْ] فَوْقَ سَهْمَاءَ فَانْتَرَوْتُ
فَسَارَ يَرْوِي كُلَّ صَدْيَانَ حَائِمٍ
وَإِنْ عَنَّا لِلنِّيَارِ مِنْ سَيْلَانِهِ
هَنَاتٌ بِهِ حَرَبًا تَقْشَعُ بِحَجْرُهَا

وله في النسب :

ظَلٌّ مِنْ فَرَطٍ حَبَهُ مَمْلُوكًا
إِنْ بَكَى ، أَوْ شَكَا الْمَهْوَى ، زَيْدٌ ظَلَمًا
تَرَكْتَهُ جَاذِرُ الْقَصْرِ صَبًّا
/ يَجْمَلُ الْجَدَّ وَاضِعًا^(٣) فَوْقَ تَرْبٍ
هَكَذَا يَجْبِنُ التَّذَلُّلَ فِي الْحَسْبِ
وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِيكًا
وَبِعَادًا يُدْنِي حِمَامًا وَشِيكًا
مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكًا
لِلَّذِي يَجْمَلُ الْحَرِيرَ أَرِيكًا [١٥- ١]

(١) (لعلها الأذن) بمعنى العيب واللهم . وقد سنَّ الرأه للوزن .

(٢) (المزة العزال هي السحابة التي تنهمر بالماء) (اللسان : ١٣ / ٤٦٩) جمع عزلة ، وهي قم المزاة

أو القرية .

(٣) وردت هذه الأبيات في البيان المغرب لابن عذارى (٢ / ٨٠) وقد ورد هذا

اللفظ هناك : ماثلا .

(٤) في البيان المغرب : للحمر .

وله في خمسِ جَوَارٍ من حظاياها ، كُنَّ مصطحبات فخاصَّبن عليه وقتاً
في طريقِ النيرةِ وهجرته :

قُضِبُ من البانِ ماست فوق كُثبانٍ ولَّين^(١) عني وقد أزمعن هجراني
ناشدتهن بمحِّي فاعزمن علي الـ مصيان^(٢) ، حتى حلامنهن عصياني^(٣)
مَلَكنني ملكَ من^(٤) ذَلَّتْ عزائمُه للعب ذلَّ أسيرٍ مُوثقٍ عانٍ
من لي بمُغتصبات الروح من بدني يفتصبتني في الهوى عزى وسلطاني !

١١ - إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٥)

ابن علي بن أبي طالب

وُلد لعبد الله بن حسن . وكان شيخَ بنى هاشم في وقته إدريسُ الأكبر
وأمه هِنْدُ بنتُ أبي عبيدة المَطَّلِيبِية ، وإدريس الأصغر هذا أمه^(٦) عاتكة بنت
عبد الملك بن الحارث الخزومية ، وأخواه منها : عيسى وسليمان ؛ حكى ذلك
أبو علي حسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل
في كتابه « المغرب عن أخبار المغرب » واختصرته منه . وذَكَرَ أن إسحاق

(١) وردت هذه الأبيات أيضاً في البيان المغرب لابن عذاري (٧٩/٢) . وقد جاء
هذا اللفظ هناك : أعرضن .

(٢) رواية البيان : الهجران .

(٣) رواية البيان : حتى خلا منهن هيماني .

(٤) في الأصل : ملكاً ، والتصويب من البيان المغرب .

(٥) الأصل : إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وهو خطأ ،
وقد صوبناه كما في المتن .

(٦) في الأصل : وأمه .

ابن عیسی كان علی المدینة ، فلما مات المهدي وولى موسى الهادي شَخَصَ وافداً عليه ، واستخلف علی المدینة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (١) ، فخرج علیه بها الحسين بن علی بن الحسن بن الحسن العلوي ، واستخفى العُمري حتى خرج الحسين إلى مكة في ذی القعدة سنة تسع وستين ومائة .

وكان قد حج في تلك السنة رجال من بني العباس ، منهم محمد بن سليمان ابن علی ، والعباس بن محمد ، وموسى بن عیسی ، وعلی الموسم سليمان بن أبی جعفر ؛ فكتب الهادي إلى محمد بن سليمان يوليه الحرب ، فالتقوا بفتح ، وخلفوا عبيد الله ابن قثم بمكة للقيام بأمرها . وكانت الوقعة يوم السبت ، يوم التروية ، فقتل الحسين القائم وسليمان بن عبد الله ؛ وانهزم الناس فنودي فيهم بالأمان ولم يتبع هاربٌ ، وحزّت الرؤوس فكانت مائة ونيقاً .

وكان فيمن هرب يحيى وإدریس / ابنا عبد الله بن حسن ؛ فأما إدریس [١٥ - ب] فلقح بالمغرب ولجأ إلى أهله فأعظموه ، ولم يزل عندهم إلى أن احتيل عليه ؛ وخلف ابنه إدریس بن إدریس ، فلكوا (٢) تلك الناحية وانقطعت عنهم البعوث . وأما يحيى فصار إلى جبل الدبّ فأنام عند صاحبه ، إلى أن شخّص إليه الفضل بن يحيى بن خالد في أيام الرشيد ، فأمنه وحمله إليه .

وقد قيل إن إدریس هرب إلى المغرب في أيام أبی جعفر المنصور ، عند قتل أخويه محمد وإبراهيم القائمين عليه بالمدینة وبالبحيرة ، وأن أباً جعفر بعث إليه من سمّه ؛ والصحيح أن ذلك كان في خلافة الهادي بالعراق ، وبعد عشرة أشهر وأيام منها ، وفي آخر خلافة عبد الرحمن بن معاوية بالأندلس ، وقيل وفاته بعامين وأشهر ، وأن إدریس وقع إلى مصر وعلی بريدها واضحٌ مولى صالح بن المنصور

(١) واضح أن المراد هنا غير عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة . انظر عن نسب هذا المذكور في المتن « جهرة أنساب العرب » ص ١٤٣ .
(٢) كذا في الأصل ، والمراد إدریس بن إدریس وآله .

— وكان رافضياً — فحمله على البريد إلى أرض المغرب حتى انتهى إلى مدينة « ولبلي »^(١) من أرض طنجة ، فاستجاب له من بها وبأراضها من البربر ، فلما ولي الرشيد علم بذلك فضرب عنق واضح وصلبه ، ودس إلى إدريس من أنس به واطمأن إليه ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية فاحتال حتى سمّه .

واختلف فيمن سم إدريس وما سم فيه . فقيل : الشماخ المشامي^(٢) مولى المهدي سمّه في سنون^(٣) سقطت منه أسفانه لما استعمله ومات من وقته ، وسيأتي خبره بعد إن شاء الله . وقيل : بل سليمان بن جرير الرقي كان سبب سمّه ، وكان إدريس به وثقاً فأتى من قبيله ، وهرب مع الرسل الذين أتوا في ذلك ، وطُلب فقات .

ويقال : إن سليمان هذا — وكان يقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين — ناظر إدريس يوماً في شيء فخالقه ، ثم دخل الحمام ، فلما خرج بعث إليه سليمان بسمكة مشوية أنكر نفسه عند أكله منها ، فشكا بطنه وقال : « أدركوا

(١) ولبلي ، وتنطق أحياناً ولبلي — والأولى أصح — مدينة أثرية في المغرب تسمى عند العامة قصر فرعون ، وتقع على ٣ كيلومترات شمال شرقي بلدة مولاي إدريس التي تضم ضريح إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة ، وهذه الأخيرة على نحو ٢٠ كيلومتراً غرب فاس ، وهي من تأسيس المغاربة القدامى الذين يسمون بالمُصْرطانيين ، جعل منها الرومان مدينة زاهرة خصوصاً في عهد الإمبراطورية . اكتشفت آثارها سنة ١٨٧٣ وابتدأت عمليات الحفر بها سنة ١٩١٥ ولا تزال متواصلة إلى اليوم .

انظر : أحمد المكناسي : خريطة المغرب الأركيولوجية للمواقع الأثرية لما قبل التاريخ إلى ظهور الإسلام (تطوان ١٩٦١) ص ٢٤ .

والبكري : صفة إفريقية والمغرب ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٢) كذا في الأصل ، وقرأها ماركوس مولر : الشماخي ، ص ١٩٨ . وجاء في البيان المغرب لابن عذارى : الشماخ مولى الهادي . . « وذكر أنه متطبع من شيعتهم العلوية » (١/٨٣) .

(٣) السنون كل مسحوق كانوا يستعملونه لنواء الأسنان .

سليمان ! « فأدرك ، وقيل له : « أجب ! » فامتنع ، فُضرب على وجهه بسيف ،
وَضُرِبَ أُخْرَى عَلَى يَدِهِ فَانْقَطَعَتْ أَصْبَعُهُ ، وَأَفْلَت . وَقِيلَ : سُمِّ فِي طَيْبِ
تَطْيِبِ بِهِ . وَوَلَدَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ يَقُولُونَ : إِنَّمَا سُمٌّ فِي بَطِيخَةٍ . وَهُمْ وَإِنْ اِخْتَلَفُوا
فِي الشَّيْءِ الَّذِي سُمِّ بِهِ ، فَهُمْ مَجْمَعُونَ عَلَى أَنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا . وَمِنْ شَعْرِهِ :

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

/ فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا تشككى ما يهول من النكب [١٦-١]

١٢ - ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داود

قال أبو الحسن علي بن محمد النَّوْفَلِيُّ : توفي إدريس بن عبد الله وجارية
من جواريه حبلى اسمها كَنْزَةٌ ، فقام « راشد » مولاه - ويقال إنه مولى أخيه
عيسى بن عبد الله ، وهو الذي خرج به حتى أقدمه المغرب - بأمر البربر .
إلى أن ولدت الجارية غلاماً فسماه باسم أبيه « إدريس » ، وقام بأمره حتى بلغ
الغلام وأدبه ؛ وكان مولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة .

وتوفي راشد سنة ست وثمانين ، فقام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن إلياس ،
وأخذ بيعة البربر له يوم الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ، وهو ابن
إحدى عشرة سنة . وأسس مدينة القرويين^(١) سنة ثلاث وتسعين ، وخرج إلى

(١) يريد فاس القرويين ، أي فاس الأولى التي أنشأها القيروانيون ، وهي منسوبة
إليهم . وسينشئ مهاجرة الأندلس الذين خرجوا منها بعد هيج الريف ضاحية فاس هذه تعرف
باسم فاس الأندلسيين ، وتسمى كل منهما عدوة فيقال عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ،
ومنهما ممّا تتكون فاس . انظر بيان ذلك في « البيان المغرب » لابن عذاري (٢/٢١١) .

نَفِيس^(١) في المحرم سنة سبع وتسعين ، ثم غزا نفزة وتلسان وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة : سُمِّ في حبة عنب فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات .

وعن غير النَّوْفَلِيِّ أن زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلِب هو الذي احتال عليه حتى اغتاله .

وعامة مَنْ في المغرب من الحَسَنِيِّين من ولد إدريس هذا ، ومنهم بنو حَمُود الخلفاء في قُرُطَبَة بعد الأربعمائة .

وذكر أبو بكر الرازي^(٢) أن إدريس بن عبد الله دخل المغرب سنة اثنتين

(١) نَفِيسٌ ، هكذا ورد الاسم مضبوطاً في الأصل ، ولكن الأغلِب نَفِيسٌ . ذكرها البكري (ص ١٦٠) وقال إنها قرب أنجات وقال إنها تعرف بالبلد النفيس وأنها بلد كثير الأنهار والثمار ، « ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظراً » ، وقال إنها بلدة عامرة أهلة بينها وبين البحر مسيرة يوم ، أي حوالي ٤٠ كيلومتراً . وهو تقدير غير دقيق ، لأن وادي نفيس واد صغير معروف يصب في بحيرة جنوبي مراكش . ومكانها اليوم قرية صغيرة تعرف بالمدينة بين تانزَلْت ودرَكَالَة .

(٢) المراد أبو بكر أحمد بن محمد الرازي المؤرخ ، وهو أبو أحمد بن محمد الرازي المؤرخ والد عيسى بن أحمد الرازي مؤرخا الأندلس المعروفين .

وهذه العبارة ذات أهمية تاريخية كبرى ، فهي تقرر بوضوح أن الذي اختط فاس كان إدريس بن عبد الله أي إدريس الأول ، لا ابنه إدريس الثاني كما كان يظن اعتماداً على كلام ابن أبي زرع مؤرخ فاس في كتابه المعروف « روض القرطاس » . وقد ناقش الموضوع مناقشة شاملة ليحيى پروغفسال في بحثه القيم عن « اختطاط فاس » واعتمد على عبارة الرازي هذه وعبارات أخرى لابن القاضي في « جذوة الاقتباس » والجزنائي في « زهرة الآس » . وأثبت بالفعل أن اختطاط فاس كان على يد إدريس الأول في رمضان ١٧٢ فبراير / ٧٨٩ . انظر :

E. LÉVI-PROVENÇAL, *L'Islam d'Occident*, chapitre 1 : *La Fondation de Fès*, pp. 3-41.

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية بعنوان : « دراسات في تاريخ المغرب والأندلس » ، ترجمه الدكتور صلاح الدين حلمي وراجعه الدكتور لطفي عبد البديع ، ونشرت الترجمة في سلسلة الألف كتاب في القاهرة سنة ١٩٥٧ .

وجدير بالذكر هنا أن « روض القرطاس » - رغم ما يتمتع به من مكانة بين مراجعنا - يعتبر من أحفلها بالأخطاء ، ولا بد من الحذر الشديد في استعماله .

وسبعين في شهر رمضان هارباً بنفسه من أبي جعفر ؛ فنزل موضعاً يقال له « وِلِيلِي » بوادي الزيتون ، فاجتمعت إليه قبائل من البربر فقدموه على أنفسهم وبنوا مدينة فاس ؛ وكانت أجمة شعراء ، ولما احترقت أساساتها ألقي في بعضها فأسٌ فسميت بمدينة « فاس » وسكنها البربر ، فلم تطل أيامه وهلك سنة أربع وسبعين ومائة . وترك جارية حاملًا منه ، فولدت بعده ابناً سمي بإدریس ابن إدريس ، ملك بعد أبيه مدينة فاس وطالت مدته ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين^(١) . كذا قال الرازي ، وقد تقدم التنبية على غلط القائل بدخول إدريس المغرب في خلافة أبي جعفر المنصور .

ومن شعر إدريس بن إدريس يخاطب البهلول بن عبد الواحد المدغري ،

ذاهباً إلى مراجعة طاعته ومحذراً مكر / إبراهيم بن الأغلب ، وهو الذي كان [١٦ - ب] أفسده عليه حتى قاتله البهلول :

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب وما قد رمى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خالياً ومناك إبراهيم خرط قتاد

وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعو إلى طاعته أو الكف عن ناحيته ، ويذكره قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي أسفل كتابه :

أذكر إبراهيم حق محمد وعترته والحق خير مقول
وأدعوه للأمر الذي فيه رشد ما هو لولا رأيه مجهول
فإن آثر الدنيا فإن أماته زلازل يوم للعقاب طويل
وله ينشوق أهل بيته :

لو مال صبري بصبر الناس كلهم لضل في روعتي أو ضل في جزعي

(١) لم تطل مدته على هذا ، فقد ولد سنة ٢٧٥ هـ وتوفي سنة ٢١٢ .

وما أريبعُ إلى يأسٍ لِيُسْلِيَنِي إلا [... ..] يَأْسٌ إلى طمع
وكيف يَصْبِرُ مَطْوِيٌّ هِضَانُهُ على وساوسِ همٍّ غيرِ منقطع
إذا الهمومُ توافتْ بعد هجعتِهِ كرتْ عليه بكأسِ مِرَّةِ الجِرَاعِ
بأنَّ الأُحِبَّةَ واستبدلتُ بعدهمُ ههنا مقيماً وشملاً غيرَ مجتمع
كأنني حينَ يَجْرِي الهمُّ ذكْرَهُمُ على ضميريَ منجبولٍ من الفزع
تأوى همومي إذا حرَّرتُ ذكْرَهُمُ إلى جوانحِ جسمي دأتمَّ الولوج

١٣ — عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو مروان

/وقيل أبو الوليد

[١ - ١٧]

قميدُ جماعة آل مروان في وقته وفارسهم وشهابهم . قدم من مصر على عبد الرحمن بن معاوية في سنة أربعين ومائة ، أولَ ولايته بالأندلس ، وهو في عشرة رجال من بنيه فرسان ، فولاه إشبيلية ، وولَّى ابنته عبد الله مؤزور ، وأغنى في حرب يوسف بن عبد الرحمن الفهري عند نكته وفراره من قوْطبة حتى قُتل .

وقيل : كان والياً على ماردة ، وابنه على أقمنت . ولما زحف أهل حصص (١) إلى عبد الرحمن بن معاوية يطلبونه بثأر أبي الصَّباح اليخضبي — وكان قد طاح على يديه — أبلى عبدُ الملك هذا بلاءً حسناً ، وقتل ولده أمةً صبراً لما انحاز إليه منهزماً : قدَّمه فضرب عنقه ، فهابه الجند وشدوا معه ومع سائر بنيه ، فكانت

(١) يريد أهل إشبيلية وناحيتها من العرب ، وكذلك كانت تسمى بعد أن أنزل أبو الخطاب الحسام بن ضرار الكلبي جند حصص في إشبيلية .

الدبرة على أهل حصن ومن معهم ، وفتح الله على يديه فتحاً لا كفاء له ، وأجلت الحربُ عنه جريماً فأحظاهُ عبدُ الرحمن . وقيل : بل قتل ابنه المذكور في حرب يوسف الفهري حين^(١) انهزم وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف ، ولم تقم له بعد قائمة ، فأحظاهُ عبدُ الرحمن وقدمه واستوزر بنيه عبد الله وإبراهيم وحكماً ، وزوج ابنته كَنْزَةَ^(٢) من ابنه هشام ولي عهده ، فقال عبدُ الملك في ذلك من قصيدة طويلة :

فيا زمناً أودى بأهلى وممشرى لقد صيرت في أحشائنا لاذعاً ججراً
 ويزدادُ دهرُ السوء غشاً وظلمةً كأنَّ على شمسِ الضحى دوننا سِتْراً
 إلى أن بدا من آل مروان مُقْمِرٌ أضاء لنا من بعدِ ظلمته الدهمرا
 هيجانُ أصيلِ الرأي نذبٌ مهذبٌ أقام لنا ملكاً وشد لنا أزرا
 وأثبت آمالاً وأثبت نعمةً وجننا فألقينا الكرامة والبراً
 أنالَ وأغنى مُنعماً متفضلاً وأصقنا لنا مأمولَ أبنائه صهرا
 فنحن حوالئِهِ النجومُ تجمعتُ إلى البدر حتى صيرنَ من حوله حجراً^(٣)

ومنها يذكر زفاف ابنته كَنْزَةَ هذه :

لعمري لقد أهديتُ بيضاء حُرَّةً إلى خير من أغلى بأثمانها المهرأ
 لها حسبٌ يابى على كلِّ مُقْرِفٍ ويرضى لها تلك الخضارمة الزهرا [١٧-ب] :
 وآل أبي العاصي هم نظراؤها فأكرمُ بشمسٍ أنسكت قمرأ بدرا

(١) الأصل : حتى .

(٢) قرأها دوزى ، ص ٤٣ : كثرة .

(٣) الحجْر هو السّر والمائع (اللسان : ٢٣٩/٥) .

١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر ابن مروان بن الحكم

كان أبوه بشر من أمراء الأموية ، فقتله أبو جعفر المنصور مع يزيد بن عمر ابن هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ آخر عمال بني أمية على العراق ، ونجا ابنه عبد الملك هذا في قَلِّ القوم إلى المغرب ، فقصده الأندلس ، ودخلها في صدر أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية ، مع ابن عمه جُزَيْمِ بن عبد العزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز ، وسكن جواره بقرطبة ، ويعرف بالبشري . وهو القاتل في مقتل أبيه :

لست أنسى مصرعاً من والدٍ	سيدٍ ضخمٍ وعمٍّ مفتقدٍ
غادرتُهُ الخيلُ في معتركٍ	بين عمٍّ وأبٍ زاكٍ وجَدِّ
تَشَهَّكُ ^(١) الريحُ عليه بالضحى	وتُغْفِيهِ أعاصيرُ الأبدِ
لم يَرُدَّ الموتَ عنه إذ سَمَا	نحوهُ كثرةُ مالٍ وعددِ
أُمويٍّ حَكَمِيٍّ عَرَفْتُ	سورةَ المجد له علياً معدِّ
عاش في مُلكٍ عزيزاً دونه	حُجُبُ المُلُوكِ وأبوابُ الرصدِ
فانتحته بالنايا فتوى	لعوافي الطيرِ مسلوبِ الجَدِّ

وله :

يا معشراً شغفَ الطعامِ قلوبهم	فهمُ طِراحٍ نحو كُلِّ دُخَانِ
يهدى لواءهمُ ويحملُ بَنَدَمَهمُ	في كلِّ معتركٍ أبو سَدَدَانِ

(١) سَهَكَتِ الرِّيحُ وَسَهَكَتِ الدَّابَّةُ سَهوكًا جرت جرياً خفيفاً ، وقيل سهوكها استئانها

يمشى كمشي الليثِ راح عشيّةً من غايهِ وأمامه شبِلانِ
لو يعرض الخطيُّ دونَ وليّةٍ مشروعةٍ في صدره لطمانِ
لمضى بصادقِ نيّةٍ وبصيرةٍ فيها وقلبٍ ^(١) مُسَيِّجٍ شَيْحَانِ ^(٢)
/ حتى يغيبَ في الثريدِ ذراعَه ويجوسها بأشاجعٍ ^(٣) وبنانِ
وله :

[١٨-١]

وَبِنَفْسِي مَنَ عِنْدَهَا الْيَوْمَ قَلْبِي عَلِقُ فِي حَبَالِهَا مَعْمُودُ
كَمَا قَلْتُ قَدْ تَنَاهَيْتُ عَنْهَا عَادَنِي مِنْ غَرَامِهَا مَا يَعُودُ
فِقَلْبِي مِنْ لَاعِجِ الْحَبِّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ سُمٌّ وَحَزْنٌ جَدِيدُ

١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان ، أبو سليمان

كان بالأندلس في سلطان عبد الرحمن بن معاوية ، وكانت له منه خاصةٌ لم تكن لأحد من أهل بيته ، وولاه طُلَيْطَلَةَ وأعمالها ؛ وهو القائل يخاطبه مُغْرِيًّا بأبي الصَّبَّاحِ ^(٤) عليه :

يا ابن الخِلاَفِ إِبْنِي ناصِحٌ لَكُمْ فِي قَتْلِ ذِي إِحْسَنِ يَرْتَادُ لِلنَّقَمِ

(١) قرأها دوزي (ص ٤٤) : وقلت .

(٢) شايخ الرجل جدّ في الأمر ، والشَيْحَانِ الذي يَتَّهَمُهُمْ عَدُوًّا ، أراد

السرعة (اللسان : ٤ / ٣٣٢) . والشجع هو الشجاع .

(٣) الأشاجع هي عظام الأصابع (اللسان : ١٠ / ١٠) .

(٤) هو أبو الصَّبَّاحِ بن يحيى اليَحْضَبِيُّ من كبار الجهنين الذين أعانوا

عبد الرحمن الداخل على الوصول إلى الإمارة . وقد ولاه عبد الرحمن على إشبيلية ، ثم عزله

لَا يُفْلِتُنكَ فَيَأْتِنَا بِيَأْتِقَةٍ وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهِ تَبْرَأُ مِنَ السَّقَمِ
جَلَّاهُ عَضْبًا مِنَ الْهِنْدِيِّ ذَا شُطْبِ إِنْ الصَّرَامَةَ فِيهِ فَذَلَّةُ الْكِرْمِ

ذكر ذلك ابن حَيَّان ، وقيل إن هذا الشعر لعبد الملك بن عمر بن مروان ابن الحكم .

وتوفي حبيب هذا في أيامه ، فشهد جنازته ومعه ستة من ولده ، فلما صلى عليه قعد وهو يُوَارَى ، فالتفت عبدُ الرحمن فرأى ولده هشاماً قاعداً ناحيةً قد [...] ^(١) في قعوده ، فقال : « ما هذا يا أبا الوليد ؟ أيُدفن عُمك وخيرُ أهلِ بيتك وأنت قاعد ؟ قم واشدد نطق الحزن عليك ، فلن ترى في قومك مثل أبي سليمان » ، فقام .

وكان حبيب من الذين يشاورهم في رأيه وإذارته عبدُ الرحمن بن معاوية ويُدنى مجالسهم منه [ويضمه] ^(٢) إلى خاصته من مُقَبَّاء دولته وسائر أصحابه ومواليه .

* * *

نرجع إلى ذكر الأمراء من غير الهاشمية والأموية على الترتيب كما شرطنا في صدر الكتاب :

== عنها ، فجمع أنصاره وثار عليه ، فأرسل إليه عبد الرحمن مولاه تَمَاماً ، فأقنعه بالاستسلام دون قتال ، وأتى به قرطبة مع ٤٠٠ من أنصاره دون عهد . فلما اتى بعبد الرحمن عاتبه ، فأغلظ له أبو الصباح في الجواب ، فأمر بقتله ، وقتل سنة ٧٦٦/١٤٩ .

انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٣/٢ .

(١) بياض بقدر كلمة .

• الأصل .

١٦ - الحُسام بن ضرار بن سلامان الكَلْبِيُّ ،

أبو الخطَّار (بالراء)

وَلِيَ إمارة الأندلس في سنة خمس وعشرين ومائة ، من قِبَل حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي والى إفريقية لهشام بن عبد الملك ثم لوليد بن يزيد بن عبد الملك . وكان قد ولي بإفريقية ولايات في إمرة بشر بن صفوان / الكلبي [١٨ - ب] أخي حنظلة ، ويقال إن أهل الأندلس الشاميين والبلديين كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والى إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند اختلافهم والياً يجتمعون عليه ، فبعث أبا الخطَّار هذا ، فأقبل إليهم حتى قدم عليهم ، فأطاعه أهلها واجتمعوا عليه ، ودانت له الأندلس جمعا^(١) إلى ولاية مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية .

ولم يقدِّم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قُرطُبة ، إذ كانت لا تحمهم ، وأنزلهم مع العرب البلديين على شِبه منازلهم في كُورِ شامِهِم . وتوسَّع لهم في البلاد :

فأنزل في كورتى أكنشونبة وباجة جند مصر مع البلديين الأول ، وأنزل باقيهم في كورة تدمير ؛

وأنزل في كورتى كلبّة وإشبيلية جند خمس [مع البلديين] الأول أيضاً ؛

وأنزل في كورة شدونة والجزيرة جند فلسطين ؛

وأنزل في كورة ربة جند الأردن ؛

(١) الأصل : جمعا .

وأُنزل في كورة إلبيرة جند دمشق ؛ وأُنزل في كورة جَيَّان جند قَنْسَرِين (١) ؛

(١) هذه الإشارة تدل على أن الأندلس كان في ذلك الوقت المبكر مقسماً إلى كور عديدة واضحة ، وقد ثبت هذا التقسيم كما هو إلى آخر أيام الخلافة ، مما يدل على أنه كان تقسيماً سليماً قائماً على أسس سليمة قديمة ، فلم يحتاج بعد إلى تعديل ، وهذا ما حدانا إلى القول في « فجر الأندلس » بأن العرب وجدوه قائماً ، فأقروه مع تعديلات طفيفة . وهذه الكور التسع هي التي عرفت بالكور المجندة ، وكلها واقعة على الوادي الكبير أو جنوبه أوفى مستواه ، وهي تكون معظم جنوب شبه الجزيرة . انظر عن حدودها « صفة الأندلس » للرازي التي لم تبق لنا إلا في ترجمتها البرتغالية والإسبانية ، وقد ترجمها ليثي بروفنسال إلى الفرنسية :

LÉVI-PROVENÇAL, *La Description de L' Espagne de Razi, Al-Andalus, XVIII* (1953) pp. 50. sqq.

وسنشير إلى هذه الترجمة دائماً باسم « صفة الأندلس للرازي » .

وقد أوردنا فيما بعد بيان معظم الأعلام الجغرافية الواردة في هذا النص (انظر فهرس الأعلام) فيما عدا أكشونة وباجة وتدميرية ، وفيما يلي التعريف بهذه الكور :
أَكْشُونِيَّةٌ أو أَحْشُونِيَّةٌ (تكتب خطأ في بعض المراجع أشْكُونِيَّة) اسم بلدة رومانية قديمة في الموضع الذي يسميه العرب شَسْتَمَرِيَّةَ الغرب Santa Maria de Algarve التي تسمى حالياً فارو Faro جنوب البرتغال . ويقال إن Ocsonoba الرومانية كانت تقع في الموضع الذي تقوم فيه قرية Milrau في البرتغال التابعة لمركز Estoy . وقد أطلق اسم أكشونة في التقسيم الإداري الأندلسي على كورة تحتل الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، من نهر وادي آنة إلى المحيط الأطلسي (صفة الأندلس للرازي رقم ٥٤ ص ٩١) . وورد ذكر هذه الكورة في « التعليق المنتقى » على أنها مدينة ، أي كورة عسكرية (ص ٢٢) ، وفي حالة أكشونة تعتبر كورة بحرية عسكرية . وقاعدة هذه الكورة شِلْب Silves في البرتغال الحالية . وستكلم عنها وعن شتمة الغرب في موضعيهما (انظر فهرس الأعلام) .

انظر : دائرة المعارف الإسلامية . مَادِقُ Ocsonoba و Santa Maria de Algarve ، و « الروض المعطار » مواد : أكشونة وشلب ، والترجمة الفرنسية والتعليقات .

بأجة ، في البرتغال الحالية ، وتسمى اليوم : بيجا Beja وهي قاعدة مديرية أليتيجو السفلى Baixo Alentejo ، وتقع على ١٤٠ كيلومتراً جنوب شرق الأشبونة (لِشْبُونَة ، لِيسْبُونَا) وكانت في التقسيم الإداري الأندلسي كورة واسعة تشمل مديرية أليتيجو السفلى الحالية في البرتغال وجزءاً من مديرتي بطليوس وولبئة Huelva في إسبانيا الحالية .

انظر : صفة الأندلس للرازي رقم ٤٨ و ٤٩ ص ٨٧ - ٨٨ .

وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طَعْمَةً .
 وبقى العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض
 لهم في شيء منها ، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسمةً سكنوا واغتبطوا
 وتمولوا^(١) .

= والتعليق المتفق ص ٢١ .

والروض المعطار ، رقم ٣٥ ص ٣٦ - ٣٧ .

تُدْمِير : هو الاسم القديم لكورة مُرْسِيَّة نُسبت إلى تَدْمِير أو تيودومير حاكم هذه
 الناحية أيام فتح العرب للأندلس ، والذي عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى احتفظ لنفسه
 فيها بشيء من الاستقلال (انظر فجر الأندلس ، ص ١١٢) ثم حولها عبد الرحمن الداخل إلى
 كورة عادية . وكانت قاعدة الكورة بلدة **أوريوالة Orihuela** ، فلما اختطت مُرْسِيَّة
 سنة ٨٣١/٢١٦ أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط على يد جابر بن مالك بن لييد عامل تدمير
 يومئذ نقلت القاعدة إليها ، وسميت الكورة كلها كورة مرسية . وقد استبد بأمر مرسية
 وكورتها الموليان العامريان خيران وزهير بعد انتشار عقد الخلافة ، ثم ضمت الكورة إلى بلنسية ،
 وانفصلت عنها بعد ذلك . وفي أواخر أيام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب
 بالمتوكل ، وأصبحت تسمى في النصوص الإسبانية باسم **ملكة مرسية El Reino de Murcia** .
 وقد خرجت مرسية عن يد المسلمين نهائياً في جمادى الأولى سنة ٦٦٤/فبراير ١٢٦٦ على يد
 خيايه الأول ملك أرغون الملقب بالفاتح .

انظر :

MARIANO GASPAS REMIRO, Historia de Murcia Musulmana (Zaragoza, 1905).

وفي تعليقاتنا التالية تفصيلات أخرى كثيرة عن تدمير ومرسية . (انظر فهرس الأعلام)
رِيَّة ، وتكتب أيضاً **رِيَّة** وهو الأصح ، يظن أن أصل اسمها **Regio** أى إقليم .
 اسم كورة من الكور الصغيرة جنوب الوادي الكبير كانت تضم قواعد كبيرة مثل أرشوننة **Archidona**
 ومالقة (انظر صفة الأندلس للرازي ، رقم ٦٩ ص ٩٨ - ٩٩) . وقد ذهب دوزي إلى
 أن اسم الإقليم كان قبل العرب **Malacitana Regio** . ولم توجد مدينة باسم **رِيَّة** ، ولو أن
 الإصطخري أخطأ فاعتبرها مدينة ، وذهب ابن خلدون إلى أن **رِيَّة** اسم **مَالَقَة** . والثابت -
 بشهادة ابن القوطية - أن رية اسم كورة عاصمتها أرشوننة . وقد اختفت الكورة في عهد
 الطوائف ، ولا وجود لها في « التعليق المتفق » .

انظر البحث الطويل عنها في أبحاث دوزي ، ص ٣١٧ - ٣٢٤ .

(١) جمعت هذا الخبر في فقرات متميزة للنص على أهميته . وقد نقله ابن الأبار عن أبي =

وطالعتا موسى بن نصير وبلج بن بشرهما اللتان تعرفان بالأندلس بالجنديين .
 ثم لم يلبث أبو الخطار — مع مكانه من السداد — أن تعصب لليمانية
 وفضلهم على المضرية ، فآل به الأمر إلى الخلع والفرار إلى جهة باجة في غرب
 الأندلس في قصص طويلة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، بعد أربع سنين
 وتسعة أشهر من ولايته ؛ وقيل : كانت ولايته سنة اثنتين وعشرين . ومن شعره :
 أَفَأْتُمُّ بِنِي مِرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءَنَا وَفِي اللَّهِ — إِنْ لَمْ تُنْصَفُوا — حَكْمٌ عَدْلٌ
 (ويروي : أفاءت بنو مروان ، والأول أولى)

كَأَنْكُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كَانَ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ
 وَقَيْنَاكُمْ حَرًّا الْقَنَا بِنُحُورِنَا وَلَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ سِوَانَا وَلَا رَجُلٌ
 / فَلَمَّا بَلَغْتُمْ نَيْلَ مَا قَدْ أُرْدْتُمْ وَطَابَ لَكُمْ مِنَ الْمَشَارِبِ وَالْأَكْلِ
 تَعَامَيْتُمْ عَنَا بَعَيْنَ جَبَلِيَّةٍ وَأَنْتُمْ كَذَا مَا قَدْ عَلِمْنَا لَهَا فَعُلُ
 فَلَا تَأْمَنُوا إِنْ دَارَتْ الْحَرْبُ دَوْرَةً وَرَزَلَتْ عَنِ الْمِرْقَاةِ بِالْقَدَمِ النَّعْلُ
 فَيَنْتَقِضُ الْحَبْلُ الَّذِي قَدْ فَتَلْتُمْ أَلَا رُبَّمَا يُلَوِّسِي فَيَنْتَقِضُ الْحَبْلُ

[١٩ - ١]

قال أبو الخطار هذا الشعر ، لأن هشام بن عبد الملك ولي عبدة بن عبد الرحمن
 — ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية بصفين — إفريقية ،
 وصرف بشر بن حنظلة الكلبي ، فوجدت لذلك الليمانية . ويقال إنه قدم
 القبروان — ولم يكن عليها إذ ذاك سور^(١) — فألقى بشر بن صفوان قد تهبأ

— مروان بن حيان كما نقله أيضاً ابن الخطيب في الإحاطة (بتحقيق محمد عبد الله عنان ، الجزء
 الأول ، القاهرة ١٩٥٥) ص ١٠٩ ، وابن عذارى في البيان المغرب ، ٣٣/٢ . وقد تصرف
 فيه كل منهم بحسب منهجه في كتابه ، وأعتقد أن الصورة التي أوردها فيها ابن الأبار من أصح
 للصور التي وردت فيها . وقد ناقشنا هذا الموضوع وبسطنا القول فيه في كتابنا « فجر الأندلس » .

(١) وردت هذه العبارة التي وضعناها بين شرطتين في الهامش بخط مختلف .

لشهود الجمعة ولبس ثيابه ، فقيل له : « هذا الأمير قد قدم ! » ، فقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! هكذا تقوم الساعة » ، فما حكته رجلاه . ودخل عبيدة بن عبد الرحمن فجمع الناس ^(١) .

وقيل إنه لما تابع ولأهٗ إفريقية والأندلس من قيس ، قال أبو الخطار هذا الشعر يعرض فيه بيوم مرج راهط ، وما كان من بلاء كلبٍ فيه مع مروان ابن الحكم ، وقيام القيسية مع الصحاح بن قيس الفهري أمير عبد الله بن الزبير . فلما بلغ الشعر هشام بن عبد الملك سأل عن قائله فأعلم أنه رجل من كلب ، وكان هشام قد ولى إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي أخا بشر المذكور ، فكتب إليه يأمره أن يولى أبا الخطار الأندلس . وهو الرابع عشر من ولاتها ، ثم ولى بعده ثوبة بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري — وكان خلعهُ بعبد الرحمن بن معاوية . وأنشد الحميدي في تاريخه الشعرَ ، وقال فيه : « أفادت بنو مروان » ، وقال : « إن لم تعدلوا » ، وقال : « وقيناكم حد القنا بسيفنا » ؛ وقال في البيت الرابع وما بعده :

فلما رأيتم واقدَ الحرب قد خبا وطاب لكم فيها المشارب والأكل
تفاظتمُ عنا كأن لم نكن لكم صديقاً ، وأنتم ما علمت لها فُقلُ
فلا تمجلوا إن دارت الحربُ دورةً وزأتُ عن المِهْوَاةِ بالقدمِ النعلُ

/ ولم ينشد البيت الأخير

وقال أبو الخطار أيضاً يخاطب الصميل بن حاتم الكلبي ، رئيسَ المضرية ورأسَ التعصبين معها على اليمانية في ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري :

(١) الخبر وارد بتفصيل في البيان المغرب لابن عذاري (١/٥٠) ونص الفقرة الأخيرة

منه هناك : ودخل عبيدة فأخذ عمال بشر وأصحابه فحبسهم وأغرمهم ، وعذب بعضهم .

وكان دخول عبيدة بن عبد الرحمن الشيروان في ربيع الأول ١١٦هـ / يونيو ٧٢٨ .

إن ابن بكرٍ كفاي كلَّ معضلةٍ وخطَّ عن غاربي ما كان يؤذيني
 إذا اتخذتَ صديقاً أو همتَ بهِ فاعمد لذي حَسَبٍ إن شئتَ أو دينِ
 ما يقدر الله في مالي وفي ولدي لا بد يدركني لو كنت بالصين^(١)
 وأنشد له الحميدي :

فليت ابن حَوَاسٍ يُخَبِّرَ أني سميتُ به سَعَى امرئٍ غيرِ غافلِ
 قتلتُ به تسعين تحسب أنهم جذوعُ نخيلٍ صرَّعتُ بالمسائلِ
 ولو كانتِ الموتي تباع اشتريته بكفِّي ، وما استثنيتُ منها أناملي

وحكى أبو على الحسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل في « الكتاب المُعَرَّب عن أخبار المغرب » من تأليفه ، أن عبيدة بن عبد الرحمن لما قدم القيروان أخذ عمالَ بشر بن صفوان وأصحابه فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم . وكان فيهم أبو الخطار ، فصنع هذه الأبيات وبعث بها إلى الأبرش السكابي ، فدخل بها على هشام بن عبد الملك بن مروان فأنشدها ، فغضب هشام . وكان ذلك سبب عزل عبيدة عن إفريقية . قال أبو على : وهذا الشعر مشهور بالمشرق كشهرة بالمغرب ؛ ذكره صاحب « كتاب الخصال » وجاء به بعض المؤلفين في اختياره ، وأتى به أبو الحسن المدائني ، وقال : لما أنشده سعيد بن الوليد الأبرشُ السكابي هشامَ بن عبد الملك غضب وشم عبيدة وقال : « قبح الله ابن النصرانية ! » وعزله .

(١) الأصل :

ما يقدر الله في مالي لا بد يدركني وفي ولدي لو كنت في الصين
 وورد بصورته الصحيحة التي يستقيم بها الوزن في الغلش .

١٧ - الصَّمِيلُ بن حاتم بن شَمِيرِ بن ذى الجَوْشَنِ

الكلابي الضبابي ، أبو جَوْشَنِ

كان جده شَمِيرٌ من أشرف عرب الكوفة ، وهو أحد قَتَلَةِ الحسين بن علي رضى الله عنهما ، والذي قدم برأسه على يزيد بن معاوية . وقَتَلَ المختارَ بعد ذلك — حين قام نائراً بقتلة الحسين — جماعةً منهم ، فهرب شَمِيرٌ بولده وعياله ولحق بالشام فأقام بها في عز ومنعة .

وقد قيل إن المختارَ قتل شَمِيرًا وفرَّ ولده / إلى أن خرج كلثوم بن عياض [٢٠-١] القشيري غازياً إلى المغرب ، فكان الصَّمِيلُ ممن ضُرب عليه البعثُ في أشرف أهل الشام ، ودخل الأندلسَ في طاعة بُلج بن بشر فَلَ أصحاب كلثوم (١) .

(١) كان هشام بن عبد الملك قد ولى كلثوم بن عياض القشيري على إفريقية سنة ١٢٣/٧٤٠-٧٤١ بعد عبيد الله بن الحجاج ليتلافى أمرها بعد انهزام قوات ابن الحجاج أمام ميسرة المدغرى في معركة الأشرف وإقدام جند إفريقية على عزله . وقد دخل كلثوم إفريقية في جيش عدته ثلاثون ألفاً ، يقال إن عشرة آلاف منهم كانوا من صلب بني أمية ، وعشرين ألفاً من سائر العرب . « وكان مع كلثوم ابن أخيه بلج بن بشر . وقد انهزم هذا الجيش الكبير أمام خالد بن حميد الزناتي رئيس البربر الذي خلف ميسرة المدغرى . وقتل كلثوم بن عياض وناقسه حبيب بن أبي عبدة وسليمان بن أبي المهاجر ووجوه العرب . فكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس ، وهزيمة أهل مصر وإفريقية إلى إفريقية » .

وقد نجح بلج بن بشر من المعركة ولجأ إلى سبتة ففتحها بها من البربر ، وظل هناك مع من معه من العرب حتى ساء حالهم واستنجدوا بعبد الملك بن قطن عامل الأندلس ، فأذن لهم بعد أن كادوا يهلكون جوعاً ، واشترط عليهم أن يخرجوا من الأندلس بعد أن يفرغوا من حرب البربر النائرين عليه في الأندلس . ولكنهم لم يخرجوا ، وانتهى الأمر بتولى بلج بن بشر أمر الأندلس .

وكان شجاعاً ، نجداً ، جواداً ، كريماً . وهو الذي قام بأمر المضرية في الأندلس . عندما أظهر أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي العصبية لليمانية ، إلا أنه كان رجلاً أميناً لا يقرأ ولا يكتب ، وكانت له في قلب الدول وتدبير الحروب أخبار مشهورة .

وحكى أبو بكر بن القوطية في تاريخه أنه سر بمعلم يتلو ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ فوقف يتفهم ، وكان أميناً لا يقرأ ، ونادى المعلم : « يا هناه ! كذا نزلت هذه الآية ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فأرى والله أن سيشاركنا في هذا الأمر المبيد والأراذل والسفلة » .

وغلب على أمر يوسف بن عبد الرحمن الفهري في ولايته ، وكان معه في حربه لعبد الرحمن بن معاوية بعد أن ولاه مدينة سرقسطة ثم طليطلة ؛ وهو القائل عندما أغار الطائفيون على داره بشقذة يوم المصارة عند انهزام الفهري واستخلاف عبد الرحمن :

ألا إن مالى عند طيِّ ودبعةٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
سَلُوا يَمَنًا عن فِعْلِ رُحْمَى ومَنْصَلَى فَإِن سَكْتُوا أَنْتَ عَلَى الْوَقَائِعُ
أُنشدها أبو بكر الرازي في تاريخه .

وتوفي الضَّمِيل في سجن عبد الرحمن بن معاوية سنة اثنتين وأربعين ومائة .

١٨- الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التيمي ، أبو جعفر

كان ممن سعى في القيام بدعوة بني العباس مع أبي مسلم وحارب معه [عبد الله بن]^(١) على ، وكان مع أبي جعفر المنصور في حصار ابن هُبَيْرَة

(١) أكلت العبارة على هذا النحو ليتصل السياق . ولم أجد اسم الأغلب بين أنصار أبي مسلم -

وفي قتل أبي مسلم ، ويقال إنه الذي ضربه فأطار يده ، ثم تولى حزر رأسه^(١) ؛
 ووجه أبو جعفر المنصور مع محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي إلى قتال البربر .
 وهو أول [قدومه إلى]^(٢) إفريقية ، وكان عامل مصر ، وذلك في سنة
 أربع وأربعين ومائة . فخرج في أربعين ألفاً عليهم مائة وثمانية وعشرون قائداً من
 تحت يد ابن الأشعث ، منهم ثلاثون ألفاً من خراسان وعشرة آلاف من الشام
 — وقيل ألفان فقط من الشام . وقال المنصور : إن حدث به حدث كان الأغلبُ
 أميرهم بعده . فولى طُبْنَةَ / إلى أن خرج ابنُ الأشعث من القيروان في شهر [٢٠ - ب]
 ربيع الأول سنة ثمان وأربعين — وكان قد بنى سور القيروان — فبعث أبو جعفر
 إلى الأغلب عهده بولاية القيروان ، فاستقامت له الأمور . ثم اضطربت بعقب
 ذلك لخروج أبي قرة البربري عليه واشتغاله بحربه ، [وخرج]^(٣) الحسن

الخراساني ورجاله . وقد أورد الطبري (طبعة المطبعة التجارية ، القاهرة ١٩٣٩) ج ٦ ص ٥٣
 قائمة بأصحاب أبي مسلم وقواده لم أجد من بينهم اسم الأغلب ، ولكني وجدت مقاتل بن حكيم
 العكي ، وهو أبو محمد بن مقاتل العكي الذي تولى إفريقية قبل إبراهيم بن الأغلب ، فلعل ذلك
 هو السبب في قول المؤرخين أن الأغلب كان من رجال أبي مسلم . وربما كان من صفار رجاله
 فلم يذكر ضمن القواد والقباء .

(١) لا وجود لهذا عند الطبري ، وهو أوسع مرجع لدينا عن قتل أبي مسلم : ١٣٧/٦ .
 (٢) عبارة وهو أول [...] إفريقية « قلقة هنا ، وقد قومتها على هذا النحو للسياق .
 وعلى أي حال فهناك رواية ابن عذارى في هذا الموضع ، ويبدو أنه يأخذ من نفس المرجع الذي
 يعتمد عليه ابن الأبار هنا : « ذكر ولاية محمد بن الأشعث الخزاعي على إفريقية : لما غلبت
 الصفريّة على إفريقية بعد أن قتلت ورفجومة من قتل من قریش وغيرهم ، خرج جماعة من
 عربها إلى المنصور يستنصرون به على البربر ، ويصفون له ما نالهم منهم . فولى أبو جعفر
 ابن الأشعث مصر ، فوجه أبا الأحرص ، فهزمت البربر ، كما تقدم ، فكتب أبو جعفر
 إلى ابن الأشعث أن يسير بنفسه ، فخرج إلى إفريقية في أربعين ألف . الخ » .

البيان ٧٢/١ (وكان ذلك سنة ١٤٤ / ٧٦١ - ٧٦٢) .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

ابن حرب الكندي عليه ، وخاطب القواد مُضْرِباً^(١) فلحق به منهم جماعةٌ وهو بتونس ، فأقبل إلى القيروان فدخلها . وبلغ الخبرُ الأغلبَ فأقبل في عدة يسيرة من أطاعه ، وكتب إلى الحسن :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عني مقالا يسير به إلى الحسن بن حرب
فإنَّ البغيَّ أبعدُهُ وبالْ عايك وقربه لك شر قرب
فإن لم تدعني لتتال سَلماً وعقوى فادنُّ من طعني وضربي^(٢)

فقصده الحسنُ الأغلبَ ، فقتلوا قتالاً شديداً انهزم الحسنُ عنه وكرَّ راجعاً إلى تونس ، ودخل الأغلبُ القيروان . ثم زحف الحسنُ إليه ثانيةً ، وخرج الأغلبُ من « باب أصرَم »^(٣) فتواقف الفريقان ، فبرز الأغلب وقال :

(١) الأصل : مضرباً ، وقد صوبتها هكذا للسياق ، وكذلك فعل مولر . وإليك توضيحاً لهذه الأحداث نقلًا عن ابن عذارى (البيان : ٧٤/١) :

« وفي سنة ١٥٠ ثار الحسن بن حرب الكندي بالقيروان على الأغلب بن سالم ، وسبب ذلك أن أبا قرة الصفري خرج في جمع كبير من البربر ، فسار إليه الأغلب في عامة القواد الذين معه ، وخطب على القيروان سالم بن سودة . فلما علم أبو قرة أن الأغلب قرُب منه حرب ، وتفرق أصحابه ، وقدم الأغلب الزاب ، وعزم على الرحيل منه إلى تلمسان ، قاعدة زناتة ، ثم إلى طنجة . فكرة الجنْدُ المسير معه ، وقالوا : « قد هرب أبو قرة الذي خرجنا إليه » وجعلوا يتسللون عنه إلى القيروان ، فلم يبق معه إلا نفر يسير من وجودهم . وكان الحسن بن حرب بتونس ، فلما خرج الأغلب يريد أبا قرة ، كاتبَ جميعَ القواد ، فلحق به بعضهم ، وأقبل معهم إلى القيروان ، فدخلها ، وأخذ سالم بن سودة عاملها ، فحبسه . وبلغ الخبرُ الأغلبَ ، فأقبل في عدة يسيرة ، وكتب إليه يعرفه بفضل الطاعة ووبال المعصية ، فأعاد الجوابَ إلى الأغلب ، وفي آخره :

ألا قولوا لأغلبَ غيرَ سوءٍ مُغلغلةً عن الحسن بن حرب
بأن البني مرتعه وخيم عايك ، وقربه لك شر قرب
فإن لم تشن لتتال سلمى وعقوى ، فادن من طعني وضربي

(٢) واضح أن الأبيات الواردة في الهامش السابق رد على هذه الأبيات . ويلاحظ القارئ تشابه شعر الأغلب وشعر الحسن بن حرب على هاتين الروايتين . والحقيقة أن ابن عذارى أخطأ فجعل أبيات ابن الأغلب للحسن بن حرب ، أما أبيات هذا فترد في ترجمته التالية .
(٣) من أبواب القيروان المعروفة .

أغدو إلى الله بأمره يرّضاهُ [لا خير في ...]
 إن يهونِي الموتُ ، فإني أهواهُ كلُّ امرئٍ يلقي يوماً [...]^(١)
 ثم شدَّ على الميمنة في أحبابه ، فكشفها ، وانصرف إلى موقفه وهو يقول :
 أضربُ في القومِ ، ومثلي يضربُ فإن [يكن حرباً] فإني الأغلبُ
 لا أجزعُ اليومَ ولا أكذبُ^(٢)

ثم شدَّ على الميسرة ، ففعل مثل فعله في الميمنة ، وانصرف وهو يقول :
 لم يبقَ إلا القلبُ أو أموتُ إن تخم لي الحربُ فقد حجيتُ
 وإن تولّيتُ فما بقيتُ

ثم حمل على القلب ، فلم يُثنَ حذّه ، حتى قُتل بسهم رُمى به ، وذلك
 في شعبان سنة خمس ومائة .

وبلغ المنصورَ موته فقال : « إن سيفي بالمغرب قد انقطع ، فإن دفع الله عن
 المغرب بريح دولتنا وإلا فلا مغرب » . وقال الحكم بن ثابت السعدي من ولد
 سلامة بن جندل يرى الأغلب :

لقد أفسد الموتُ الحياةَ بأغلبٍ غداةَ غدا للموت في الحرب مُغلباً
 / تبدتْ له أم المنايا فأقصدتْ [فتى حين] يلقي الموت في الحرب صمماً^(٣) [٢١ - ١]
 أخوا غزواتٍ ما تزال جياذهُ تُصَبِّحُ عنه غارةٌ حيث يَمَّا
 أنته المنايا في القنا فاخرمنهُ وغادرنهُ في مُلتقى الخيل مسلماً
 كأن على أثوابه من دمائه عبيطاً ، وبالخلدين والنخري عقداً
 فبات شهيداً نال أكرمَ ميتةٍ ولم يَبِغْ عُمرأ أن يطول ويسقماً

(١) وردت هذه الأبيات في سياق النثر ، ولم ينتبه الناسخ إلى أنها شعر .

(٢) الشطر الأخير من هذا الرجز مكسور . وقد أضفت ما بين حاصرتين في الشطر
 الثاني لسياق الوزن ، وظاهر أنه يخاطب الحسن بن حرب ، ومن هنا أخذت عبارة « يكن حرباً » .

(٣) ورد للشطر ناقصاً في الأصل فأكلته بما يقيم الوزن .

١٩ - الحسن بن حرب الكندي

كان بتونس ، ققام على الأغب بن سالم - حسبما تقدم خبره - وخالفه وسار إلى القيروان فلم يدفمه أحد عنها حتى دخلها . وبلغ أبا جعفر المنصور تنازهما ، فكتب إلى الحسن بن حرب يحضه على الطاعة . وكان من كبار القواد وأبطال الفرسان بإفريقية ؛ وهو القائل يجب الأغب عن آياته المذكورة قبل :

ألا قولاً لأغبَ غيرَ سِرِّ مُغلَظَةٍ عن الحسن بن حرب
بأنَّ الموتَ بينكمُ وبينى وكأسُ الموتِ أكره كلِّ شربِ
رويدكمُ ، فيومكمُ ويومى - وإن بعداً - مصيرهما لقربِ

ثم تقانلا بعد ذلك ، فقتل الأغبُ وصاح صائح : « مات الأميرا » . وكان سالم بن سودة التميمي في اليمنة ، وهو ابن عم الأغب ، فقال : « لا أنظر إلى الدنيا بعد اليوم » . ووقع في عسكر الحسن الصباح : « مات الأميرا » فظن أن الحسن هو المقتول ، فولوا منهزمين ، وركبهم سالمُ بن سودة والمخارق بن غفار الطائي بالسيف ، فقتل من أصحاب الحسن مقتلة عظيمة ، واتبع هو فقتل بتونس . ويقال إنه أتوا به مقتولا إلى القيروان ، فصلبه المخارق يوم السبت آخر يوم من شعبان سنة خمسين ومائة .

٢٠ - يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة

الأزدى العتكي ، أبو خالد

ولى إفريقية في خلافة أبي جعفر المنصور ، فأصلحها ورتب أمر القيروان

وجدد أمر المسجد / الجامع . وكان غايةً في الجود مُمدِّحًا ، كثيرَ الشبه بجده [٢١-ب] المَهَلَّب في حروبه ودهائه وكرمه وسخائه ، خاصًّا بأبي جعفر المنصور ، وكان لا يُحجب عنه . وولّى ولاياتٍ كثيرةً قبل قدومه إلى المغرب ، منها : أرمينية ، والسُّند ، ومصر ، وأذربيجان وغير ذلك .

وقدم إفريقيَّةً من مصر — وكان واليًّا عليها — في ذى الحجة سنة أربع وأربعين ومائة إلى سنة اثنتين وخمسين ^(١) . وحُكي عنه [أنه] قال : لما ولاني أبو جعفر دخلتُ عليه فقال لي : « يا [أبا] خالد ، بادر النيل قبل خروج الرايات الصُّفْر وأصحاب الدواب البُتْر » ^(٢) .

(١) تولى يزيد بن حاتم مصر من يوم الاثنين ١٥ ذى قعدة ١٧/١٤٤ مارس ٧٦٢ إلى يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ٣/١٥٢ مايو ٧٧٠ .
انظر : أبو المحاسن بن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب بالقاهرة) ج ٢ (١٩٣٠) ص ١ وما يليها .

(٢) المراد بهذه الإشارة هنا العلويون ، وكان أبو جعفر المنصور مهمومًا بأمرهم خلافته كَلَّها ، وعلى رغم ما أنزل بهم من مقاتل وبأنصارهم من أذى وتعذيب فقد ظل متخوفًا منهم إلى آخر أيامه . وكان أنصار العلويين في مصر كثيرين ، فكان المنصور يخشى أن يشبوا بها ، فبادر إلى عزل حميد بن قحطبة وأرسل يزيد بن حاتم ، وكان من أقدر ولاته وأقربهم إلى نفسه . وقد كان أبو جعفر محققًا في تخوفه ، فنحن نقرأ عند أبي المحاسن : « وفي أيام يزيد بن حاتم المذكور ظهرت بمصر دعوة بني الحسن بن علي بن أبي طالب ، وتكلم بها الناس ، وباع الكثير منهم لبني الحسن في الباطن ، وماجت الناس بمصر ، وكاد أمر بني الحسن أن يتم ، والبيعة كانت باسم علي بن محمد بن عبد الله (بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وعلى هذا هو ابن محمد النفس الزكية الذي قتله المنصور في المدينة وأخاه إبراهيم في البصرة سنة ١٤٥) .

وبينما الناس في ذلك قدم البريد برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة ، فنصب في المسجد أياما » . (أبو المحاسن ١/٢ (٢-) .

وقد بلغ من خوف يزيد بن حاتم من دعاة العلوية أن منع أهل مصر من الحج سنة ١٤٥ هـ . ولم يوفق يزيد بن حاتم في القضاء على دعوة العلوية في مصر ، فنزله المنصور سنة ١٥٢ وأقام مكانه عبد الله بن عبد الرحمن حفيد معاوية بن حديج زعيم الثمالية في مصر ودعوا على بن أبي طالب أثناء الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان .

ثم استقدمه — بعد أن قُتل عمر بن حفص المهلبى — فولاه إفريقية والمغرب
وشيخه إلى فلسطين ، فسدده الأمراء والرؤساء . وكان المنصور يقول : « ما أخطأت
في شيء من تدبيرى إلا في ثلاثة أشياء : تشييع يزيد بن حاتم . . . أرايت لو فكثت ،
أكان يحسن بى أن أرجع ، أو كان يحسن بى أن ألقى الجيش بنفسى ؟ ويوم
الراوندية^(١) وقوفى على باب الذهب . . . أرايت لو أن رجلا رماني بسهم ، أليس
دمى كان يذهب ضياعاً ؟ وقتلى أبا مسلم وأنا فى الخرق^(٢) ، ومعه أهل خراسان
ثلاثون ألفاً يعبدونه من دون الله » .

وفى يزيد هذا يقول ربيعة بن ثابت الرقى من بنى أسد — وقد وفد عليه —
آياته السائرة فى الناس إلى اليوم :

لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ سَلِيمٌ وَالْأَعْرَبُ بْنُ حَاتِمٍ
يَزِيدُ سَلِيمٌ سَالَمَ الْمَالَ ، وَالْفَتَى أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرَ مُسَلِّمٍ
فَهَمُّ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ لِتَلَاْفِ مَالِهِ وَهَمُّ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتَامَ أَنَّى هَجَوْتُهُ وَلَكِنِّي فَضَّاتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

يريد بالتتمام — وهو المتردد فى التاء — يزيد بن أسيد السلى . سماه المبرد ،
وهى من قصيدة حسنة يقول فيها :

أَبَا خَالِدٍ أَنْتَ الْمَنُوَّةُ بِاسْمِهِ إِذَا زَاتُ بِالنَّاسِ إِحْدَى الْعِظَامِ
كَفَيْتَ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَكُنْتَ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ مَزَاحِمِ

(١) الراوندية جماعة من شيعة فارس ينسبون إلى راوندقرب أصفهان ، أسرفوا فى تشييعهم
لعل بن أبى طالب حتى قالوا إن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم حلت فيه ، ودعوا إلى تأليه
الأئمة ، وذهبت جماعة منهم إلى عبادة أبى جعفر المنصور ، وقد حاربهم المنصور وقتل منهم
كثيرين وحبس كثيرين أيضاً فى سجون بغداد ، فاجتمعوا فى السجن وكسروا أبوابه ، وخرجوا
واجتمعوا إلى قصر المنصور ، فخرج إليهم بنفسه ، فتكاثروا عليه وكادوا يقتلونه لولا أن أنقذه
معن بن زائدة الشيبانى . وقد كافأه المنصور على ذلك بولاية اليمن . وإلى يومه هذا مع الراوندية
يشير هنا . (راجع الطبرى ، ج ٦ ص ٣٠٧ وما بعدها)

(٢) أى وأنا فى وقت ثورة واضطراب .

ويقال إن ربيعة لما مدحه بهذه القصيدة استبطأ برّه وصلته فقال :

/ أراني — ولا كفران لله — راجعاً بخفي حنين من يزيد بن حاتم [١-٢٢]

فبلغ ذلك يزيد ، فدعا به وقال : « انزعوا خفيه » ، فزعاه وهو خائف من عقوبته على ذكره خفي حنين ، فلأثما له دراهم ودنانير — وكانا كبيرين كأخفاف الجند — ثم وصله بمد ذلك بصلاتٍ جزيلة . وهذه القصة^(١) شبيهة بقصة أبي العتاهية مع عمر بن العلاء^(٢) حين امتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

إني أمنتُ من الزمان وربيه لما علمتُ من الأمير حبّالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لخذوا له حرّاً الخلودِ نعالاً
ما كان هذا الجودُ حتى كنتَ يا عمرُ ، ولو يوماً تزولُ لزالا
إن المطايا تشكيك لأنها قطعتُ إليك سباسباً ورمالاً
فإذا وردنَ بنا وردنَ مُحفّةً وإذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقلاً
فأخّر عنه برّه قليلاً ، فكتب إليه يستبطئه :

أصابتُ علينا جودك العينُ يا عمرُ وعزّ لي نبي التمامُ والنشرُ
سنزّيقك بالأشمار حتى تملّها فإن لم تُفق منها رقبناك بالشورُ
وقال أيضاً :

يا ابنَ العلاءِ يا ابنَ القرمِ مرداسٍ إني لأطريك في صخبي وجلاسي
أنتى عليك — ولي حال تكذبني فيما أقول — فأستحي من الناس
حتى إذا قيل : ما أعطاك من صدقٍ ؟ طأطأتُ ، من سوء حالٍ عندها ، راسي
فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال ، وقال : « لا تدخله علي فإني أستحي منه » .

وروى أنه وصله عليها بسبعين ألف درهم ، فغسده الشعراء وقالوا : « لنا بياض

(١) الأصل : القصيدة .

(٢) هو عمر بن العلاء ، معنوق عمرو بن حريث (انظر : الأغاني : ٤٤/٣ و١٣٧)

الأمير أعوام نخدم الآمال ما وصلنا إلى بعض هذا ، فاتصل ذلك به فأمر بإحضارهم وقال : « قد بلغني الذي قلتم . وإن أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة يشبب فيها ، فلا يصل إلى المدح حتى تذهب لذة حلاوته ورائق طلاوته . وإن أبا العتاهية أتى فشبب / بأبيات يسيرة ، ثم قال : إن المطايا تشتكيك » ، وأنشد الأبيات . [٢٢ - ب]

ومن شعر يزيد بن حاتم :

ما يَألف الدرهمُ المَضروبُ خِرْقَتَنَا إلا لَمَآمًا قَلِيلًا ، ثم ينطلقُ
يَمُرُّ مَرًّا عَلَيْهَا وَهِيَ تَلْفِظُهُ إلى امرؤٍ لم يُحَافِ خِرْفَتِي الْوَرِقُ^(١)
وتوفي في شهر رمضان سنة سبعين ومائة .

٢١ - الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب^(٢)

ولاه الرشيد إفريقية ، فقدم على القيروان في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة ، ويقال إنه لم يلب إفريقية أجمل منه ومن أي العباس عبد الله بن إبراهيم ابن الأغلب .

(١) وردت هذه الأبيات أيضاً في البيان المغرب لابن عذاري (٨١/١)

(٢) هذا خامس رجل من آل المهلب يتولى أمر إفريقية للعباسيين . والحقيقة أنه منذ قتل الأغلب بن سالم بن عقال في سنة ٧٦٥/١٤٨ إلى ولاية ابنه إبراهيم سنة ٨٠٠/١٨٤ ، أي إلى بدء الدولة الأغلبية ، كانت إفريقية في يد رجال من بيت المهلب بن أبي صفرة فيما عدا فترات قصيرة جداً . وهذا البيت الذي تولى مصائر إفريقية خلال أعصب فترة مرت بتاريخها قبل الأغلبة جدير بدراسة وحده ، فقد كان رجاله عرباً خالصاً تمثل فيهم صفات العرب الأولى في أجل صورها . كانوا شجعاناً كرماء ذوى ثبات وحزم وعزم ، وكانوا إلى جانب ذلك - وتلك هي الناحية السلبية من خلقهم - متهاونين لا ينظرون إلى بعيد ، ولا يفكرون في خطة بعيدة المدى لتلافى الأخطار التي أحاطت بإفريقية على أيامهم ، إنما كانوا ينتظرون حتى تشتد الأزمة ويعظم الخطر فهبون لدفعه في بسالة وعزم وذكاء وحيلة ، ولم تكن تلك هي السياسة =

واستعمل على تونس المغيرة بن بشر بن روح ابن أخيه ، وكانت تونس نظيرة القيروان حتى إن أبا جعفر المنصور كان يقول : « ما فعلت إحدى القيروانين ؟ » ، يعنى تونس .

وكان المغيرة غرّاً لا تجربة له بالأموار ولا معرفة بتصاريفها ، فاستخف بالجنود وسار فيهم بما أنكروه ، فكتبوا إلى الفضل بذلك فلم يعزله عنهم ، فقدّموا — فى قصة طويلة — عبد الله بن الجارود العبدي^(١) وأخرجوا المغيرة .

وكتب ابن الجارود إلى الفضل : « إلى الأمير الفضل بن روح من عبد الله ابن الجارود . أما بعد ، فإننا لم نخرج المغيرة إخراجٍ خلافٍ عن الطاعة ، ولكن لأحداث فيها فسادُ الدولة . قولٌ علينا من نرضاه ، وإلا نظرنا لأنفسنا . وواسنا بالأسلاف^(٢) كما كانت الولاة تصنع بنا قبلك ، وإلا فلا طاعة لك علينا . » .
وكتب فى أسفل الكتاب :

— الكفيلة بتأمين بلد استعرب أهله وأيقظ الإسلام فيهم وعياً بعيد المدى حفزهم على طلب الحكم والرغبة فى الاستئثار به وإقامة دول عربية مستقلة . وقد قام تفكير الكثيرين منهم على مبادئ الإباضية ، وهى دعوة خارجية سياسية ترى إلى إنكار حق الاستئثار بالحكم والخلافة على بيت معين ، وتجعل الحكم ولاية يتولاها الأصلاح بتراضى المسلمين ، وتدعو من ناحية أخرى إلى التعاون والتآخى بين أفراد الجماعة الواحدة . ولم يبرز عماء الإباضية على هذه المبادئ ، وإن كان أتباعها قد طبقوها فيما بينهم وأنشأوا جماعات عربية إسلامية من التجار والزراع والصناع ، كما نرى عند إباضية جربة . وكان من الطبيعى ألا يستطيع ولاية بنى العباس من آل المهلب الثبات طويلاً أمام جماعات الإباضيين ، وكان أكبر ما أضعف الولاة حرص خلفاء بنى العباس على تقصير مدد ولائهم خروفاً من وثوبهم . وقد تبين بنو العباس خطأهم فى ذلك ، وانتهوا إلى ترك إفريقية فى يد إبراهيم بن الأغلب وأولاده تحت طاعتهم ، وبهذا بدأ عصر جديد فى التاريخ السياسى لإفريقية الإسلامية .

(١) هو عبد الله بن الجارود بن عبليويه . وقد وهم ناشر ابن عذارى فجعله عبد ربه .

(٢) الأسلاف هنا مصطلح خاص لم أجد له تعريفاً فيما بين يديّ من المراجع ، ولكنى

تهمت من التفصيل الطويل الذى يقدمه النويرى عما وقع بين الفضل بن روح وعبد الله بن الجارود بن عبليويه أن الأسلاف كانت معاونات مالية يرسلها الولاة إلى الظاهرين من أهل البواحي =

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْفَضْلِ بْنِ رُوحٍ وَصِدْقُ الْقَوْلِ زَيْنٌ لِلرِّجَالِ
 بِأَنَّكَ حِينَ وَايْتِ ابْنَ بَشْرِ عَلَيْنَا غَيْرُ عَمُودِ الْفِعَالِ
 فَوَلٌّ سِوَاهُ أَوْ كُنْ رَهْنَ حَرْبٍ تَغْصُّ بِهَا عَلَى الْمَاءِ الزَّلَالِ
 وَإِنْ لَمْ تَعْطِنَا الْأَسْلَافَ طَوْعًا أَحْبَبْتَ لَهَا بِكَرِّهِ بِالْعَوَالِي^(١)
 فَأَجَابَ الْفَضْلُ عَنْ ذَلِكَ بِرَمِيمٍ بِالْخِلَافِ ، وَيُؤَسِّسُهُم مِنَ الْأَسْلَافِ ،
 وَكَتَبَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ :

[٢٣-١] / أَنَانِي عَنْكَ مَا سَفَّالٌ مِنْهُ وَبِالْأَيِّ إِنْ عَصَيْتَ عَلَى الْعِقَالِ
 فَإِنْ تَرَجِمْتَ تَنْلُ سَلْمًا وَأَمْنًا وَإِنْ تَجْمَحُ فَلَسْتَ بِمُسْتَقَالِ
 وَإِنَّ لِيَنَّ أَطَاعَ عَلَيْكَ فَضْلًا كَفَضْلِ يَدِ الْيَمِينِ عَلَى الشَّمَالِ
 وَلَسْتَ بِمَدْرِكِ الْأَسْلَافِ حَتَّى تَتَاوَلَهُنَّ قَسْرًا بِالْعَوَالِي

ثم بعث عبد الله بن يزيد المهلبى والياً وضم إليه كثيراً من أصحابه . فأخرج
 ابن الجارود جماعة يختبرون ما قدّموا له ، ونهّاهم عن الحرب . فلقومهم بسبخة
 تونس فقتل عبد الله — فى خبر يطول ذكره — وأسر القواد الذين معه . وأدى
 ذلك إلى محاربة الفضل بالتقبروان ، فغلب عليها فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين

— ورؤساء جماعاتها ليظلوا إلى جانب الولاء فى سراعهم مع الثائرين عليهم . وقد قطعها الفضل بن حاتم
 وواله على تونس المغيرة بن بشر بن روح ، وهو ابن أخى الفضل .

انظر : النويرى ، نهاية الأرب ، الجزءان الخاصان بإفريقية والأندلس ، نشرهما ماريانو
 جاسبار ريجيرو فى :

Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino.
 Granada.

ابتداءً من العدد الرابع (المجلد الخامس) سنة ١٩١٥ . والقطعة الخاصة بالحوادث التى نشير إليها
 واردة فى العدد الثانى من المجلد السابع (سنة ١٩١٧) ص ١٢٧ - ١٤١ .

وسنشير إلى هذا المرجع من الآن فصاعداً بعبارة : نهاية الأرب للنويرى .

(١) الأصل : بالعوالى . والعوالى هى السيوف .

ومائة ، وسبَّ في أهل بيته ، ثم استرجع من طريقه وهو متوجه إلى قابس ،
فحبس مع رجُلين من أصحابه ، ثم دخل عليه الجند فقتلوه في محبسه . ومن
شعر الفضل :

ومارستُ هذا الدهرَ خمسينَ حبةً ونصفاً أرجى قابلاً بعدَ قابلِ
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جسيمها ولا في الذى أهوى كدحتُ بطائلِ
وقد أثمرتُ فينا المنايا أكفها وأبقتُ أئى رهنُ موتٍ مُعاجلِ

٢٢ — سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبى

لما عظم على الفضل بن روح أمرُ ابنِ الجارود وخروجه عليه بتونس وزحفه
إليه ، جمع أهل بيته وقال : « ما ترون في هذا الأمر الذى لا يحصنى دونكم ؟ »
فكثرت الآراء ، فقال ابن عمه سعيد : « أطعنى اليومَ واعصنى فيما يستأنف .
سدَّ أبوابَ المدينة كلها إلا باباً واحداً ، ونُدخل ما يحتاج إليه الحصارُ سنةً .
فوالله لكأنى أنظرُ — إن لم تفعلْ ذلك — قد دُخِلَ عليك من أمتها
عندك » . وقال في ذلك يخاطب الفضل :

أرى الحربَ قد مدتْ إلينا بساقها وقلبك يقظانٌ شبيهٌ بنائمِ
نخذ لنهود الحرب أهبةً يومها وشمراً لها الأذيالَ قبلَ التنادمِ
/ فإن كنت تسمى الغربَ فاشددها القوى تنل ظفراً ، أو تاق موتَ الأكارمِ [٢٣-٢٤]
فليس يُرْبِدُ القومُ إلا نفوسنا أو النَّقىَ عنها يا ابنَ روحِ بنِ حاتمِ

وقال أيضا :

ألا قلَّ لفضلٍ إنَّني لك ناصحٌ فلا تسمعنَّ مما يُشيرُ ابنُ واقِدٍ^(١)
فإنك إن تسمعُ لأقواله تُمذُّ إلى أسدٍ في كُتَّبةِ الخليلِ لا يدُ
ستذكرُ قولي حينَ ليسَ بنافعٍ إذا شمتَ الأرماحُ نحرَ القلائدِ
تخالفه الفضلُ فكان ما تقدم من أمره .

٢٣ — أخوه عبد الله بن يزيد بن حاتم

كان مع ابن عمه الفضل بن روح بن حاتم في حروبه بإفريقية ، ثم قرِفَ
عنده بمالأة عدوه الخارج عليه ابن الجارود المعروف بعبُدويَّة ، فنغل صدرُ
الفضل عليه حتى كتب إليه :

أرى ألسنَ الحسادِ فيك كأنها سهامٌ تهأوى من قبيِّ نصالِ

(١) لم أستطع التعرف على ابن واقِد هنا ، ولكن يغلب على ظني أن المراد به محمد بن يزيد
الفارسي ، وكان أول الأمر من رجال الفضل بن روح بن حاتم ، وكان سعيد بن يزيد بن حاتم
يشك فيه ويحذر عمه الفضل منه . وقد كان اختلاف آراء رجال الفضل سبب ضياع أمره ، وقد
أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله بعد أن ذكر القتال الأول بين الفضل وابن الجارود وحصار
هذا الأخير للقيروان : « فاجتمع الفضل مع بني عمه وخاصته ، وتشاور معهم في أمره فاضطرب
الأمر عليه ، ولم يصح له أمر » . وقد انتهى الأمر بدخول ابن الجارود القيروان واستيلائه على
الأمر ، ثم أخرج الفضل وأصحابه في حراسة نفر من رجاله ليخرجوه من حلود إفريقية ،
ولكن ابن الجارود قتله بعد ذلك في شعبان سنة ١٧٨ / أكتوبر ٧٩٤ (ابن عذارى : ٨٨ / ١ -
٨٩) . وقبيل قتله حاول محمد بن يزيد الفارسي (وأظن أنه ابن واقِد) الدفاع عن نفسه ،
وأشار على رجال ابن الجارود بالألا يقتلوه ، فلم يسموا له . (النويري ١٢٧ - ١٢٩) .

يقولون قد كاتبَت عَبْدُؤَيِّ^(١) في التي إذا نالها أولئك شرٌّ وبالٍ
 وقالوا وعدتَ القومَ عندَ لقائهم رجوعاً عن الهَيْجَا بغير قتال
 وليس الذي مَنَّاكَ عَبْدُؤَيِّ كأننا فدعهُ ولا تَركنْ لِقولِ ضلال
 ألا إنني لم أَمْسِ فيكَ مُصَدِّقاً لأقوالهم ، والصدقُ خيرُ مقال
 فلما وردت الأبيات على عبد الله علم أنه اتهمه ، فأجابه بقوله :

لَعَمْرُكَ لولا ما اتهمتَ لما أتتَ قوارضُ أبدأهنَّ شرُّ مقالٍ
 أظنُّ ابنُ رُوحٍ أني كنتُ قاطماً يميني التي أسطو بها بشمالِي^(٢)
 وهبني تناولتُ التي كنتَ خِفْتها فكيف اعتذارى فيكَ بعد فِعالي^(٣)
 فلا تحسبني مُسْلِماً إن لقيتهمْ لأسبابهم ظهري بغير قتال

فقال الفضل عند قراءة جوابه : « لو كان حسادنا يتركون البغي على حال
 لتركوه على مثل حالنا هذه » . ثم أخرجه إلى قتال عَبْدُؤَيِّ بن الجارود فهزمه
 عَبْدُ اللَّهِ بن يزيد ، ثم عاوده الحرب فهزمه عَبْدُؤَيِّ / وانصرف عبد الله إلى [٢٤ - ١]

(١) المراد هنا عبد الله بن الجارود بن عَبْدُؤَيِّ الذي أشرنا إليه ، وقد كان عدوَّ الفضل
 ابن رُوح وزعيم الخارجين عليه ، وتمكن من قتله وإخراج بقية بني المهلب من إفريقية وتولاها
 سبعة أشهر انتهت في ربيع الآخر سنة ١٧٩ / يونيو ٧٩٥ بقدرم هرثمة بن أعين أميراً على
 إفريقية من قبل الرشيد . وقد قص النويري أعمال ابن الجارود إلى خروجه من إفريقية بتفصيل
 (١٢٧ - ١٣١) .

هذا وضبط اسم عَبْدُؤَيِّ على هذه الصورة في شعر الفضل وابن عمه عبد الله يدل دلالة
 واضحة على أن الاسم كان ينطق عَبْدُؤَيِّ متباعدة للنطق الفارسي ، لا عَبْدُؤَيِّ كما تعودنا أن نقرأ .
 وهذا يؤيد ما ذهب إليه المستشرق إينو ليان من أن الأسماء التي تنتهي ب « وِي » - مثل سيويه - ينبغي أن
 تنطق سِيُوِيَّةً ونَفُطُوِيَّةً وخَالُوِيَّةً . وهكذا كان العرب ينطقونها كما ترى في هذا الشعر .

(٢) في الأصل : بشمال .

(٣) في الأصل : بفعال .

القيروان مفولاً ، فكان مع ابن عمه الفضل إلى أن تكَلَّب عليه ابنُ الجارود ، ثم قتله بعد أن استرجعه من طريقه ، وأطلق عبد الله بن يزيد وأمره وأخاه المهلب بن يزيد ونصر بن حبيب وجماعتهم بالتجهز والخروج من إفريقية ، فخرجوا إلى المشرق .

٢٤ — سليمان بن حميد الغافقي ، أبو داوود^(١)

فارس العرب قاطبة بالمغرب في عصره ، وأحسن الناس لساناً ، وأبلغهم إلى معرفة أيام العرب وأخبارها ، ورواية لوقائعها وأشعارها ، مع دعاية كانت فيه وعبث لا يدعه ؛ مُحَلَّتْ عنه في ذلك نوادر مستطرفة وحكايات مستملحة .

وخافه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري فسجنه وأخاه محمداً ، ولم يكن يدونه . وكان محمد — وهو أكبر من سليمان — والياً على الأربُس ، فثار على عبد الرحمن بن حبيب . وسرحهما إلياس بن حبيب — حين قتل أخاه عبد الرحمن^(٢) — وولّى إفريقية بعده ، واستعان بهما في ذلك وعاش

(١) فرغ ابن الأبار بعد الترجمة لعبد الله بن يزيد بن حاتم من أمراء العصر الأول في المغرب والأندلس الذين روى لهم شعر ، وبدأ بعد ذلك بالترجمة لمن عاصروهم من وجوه الناس ، من أثر عنه شعر ، وبدأ بسليمان بن حميد الغافقي هنا ، وكان معاصراً لعبد الرحمن بن حبيب الذي سئلت عنه في التعليق التالي .

(٢) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري مغامر كبير قضى عمره كله في طلب الولاية والفتن والقتال في الأندلس والمغرب . وقد ظهر أمره بعد مقتل كلثوم ابن عياض القشيري في معركة حامية دارت بينه وبين خالد بن حميد الزناتي خليفة ميسرة المدغري وأنصارها من الإباضيين والصفريين . وكان أبوه حبيب بن أبي عبيدة يتولى قتال خالد بن حميد الزناتي قبل أن يأتي كلثوم ويتولى القيادة بعده ، فنقم حبيب بن أبي عبيدة واختلف مع كلثوم ابن عياض القشيري ، وكانت النتيجة انهزام كلثوم ومقتله وفرار حبيب بن أبي عبيدة إلى =

سليمان [... ..]^(١) يزيد بن حاتم المهلبى فقصدا قَسَطِيْلِيَّة . وهو القائل
في يوم أبى زرجونة^(٢) :

وما إن صددنا عنهمُ خوفَ بأسِهِمُ وحاشا لنا أن نتقى بأسَ بَرَبَرَا
وإنا إذا ما الحربُ أُسْعِرَ نارُها لنلتقى المنايا دارِعِينِ وحُسْرَا
وتقدُّو بصبرٍ حينَ تشجِرُ القنا فليستَ ترى منا على الموتِ أصبرا
ولكنْ أردنا ذلَّ قومٍ تطاولوا علينا وأبدوا نخوةً وتكبِرا

= إفريقية بطائفة من فل الجيش وفر بلج بن بشر ابن أخت عياض بطائفة أخرى إلى الغرب حيث تحصنوا بسبته كما روينا . وفي أثناء ذلك هرب عبد الرحمن بن حبيب إلى الأندلس ، وحاول الوصول إلى السلطان فيها ففشل ، فعاد إلى إفريقية في جهادى الأولى سنة ١٢٧ ، وجمع نفراً من أنصار بيته - بيت عقبة بن نافع - وسار لمقاتلة حنظلة بن صفوان الذى تولى أمر إفريقية في ربيع الآخر سنة ١٢٤ . وقد رأى حنظلة من سوء فعل عبد الرحمن وقلة تورعه عن أى عمل للوصول إلى السلطان ما جعله يمل العمل في إفريقية فتركها في جهادى الآخرة سنة ١٢٧/مارس ٧٤٥ وانفرد بأمرها عبد الرحمن بن حبيب ، وثار عليه معظم رؤسائها ، فحاض معهم حروباً طويلة انتصر فيها ، وتمكن من أن يستصدر من مروان بن محمد أمراً بإقامته والياً على إفريقية والأندلس . ولما انتقل الأمر إلى العباسيين دخل في طاعة أبى عبد الله السفاح ثم انقلب عليه ، وكان يعينه في ذلك كله إخوته إلياس وعمران وعبد الوارث . ثم اختلف مع أخويه إلياس وعبد الوارث ، فدبرا اغتيال أخيهما عبد الرحمن وإعادة الدعوة لبني العباس ، وتمكنا من قتله . وتولى الأمر إلياس بن حبيب ، ولكن حبيباً ابن أخيه عبد الرحمن لم يسكت لمقتل أبيه وانضم إليه عمران ، ودارت رحى حرب طويلة انتصر فيها حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمه إلياس وقتله ، وتولى أمر إفريقية . وهرب عبد الوارث أخو إلياس وحليفه إلى قبيلة من البربر تسمى ورّفجومة وأثارها على حبيب بن عبد الرحمن ، ولم يستطع هذا الثبات لورفجومة وزعيمها حاصم بن جميل ، فانهزم وقتل في المحرم سنة ١٤٠/مايو ٧٥٧ . « وكانت ولاية عبد الرحمن ابن حبيب ١٠ سنين وأشهرًا ، وولاية إلياس ٦ أشهر ، وولاية حبيب بن عبد الرحمن سنة واحدة و ٦ أشهره . التويرى : ٤١ -

(١) يياض بالأصل ، يمكن ملؤه بعبارة مثل « وبثوه لك أيام » .

(٢) لم أجد تعريفاً بهذا اليوم فيما بين يدي من المراجع .

٢٥ - عبد الله بن الجارود العبدى ، ويقال له عبديوه

لما غلب على القيروان ، وأخرج الفضل بن روح ثم رده وأرداه ، بمُد صيته واستغلظ أمره ؛ وزحف إليه مالك بن المنذر السكابي من « ميلة » في جند حص نائرين بالفضل ، فصرع مالك بسهم في تقاتلها ونجا ابن الجارود . ثم زحف إليه العلاء بن سعيد المهلبى من الزاب - ولم تكن لابن الجارود به طاقة - فصادفه قد خرج من القيروان ليلقى خليفة هرثمة بن أعين ، وقد قدمه بين يديه ، وذلك [٢٤ - ب] / مُستهل صفر سنة تسع وسبعين ومائة . وكان الرشيدُ لما بلغه خبرُ ابن الجارود قد وجّه إليه من تلطف به حتى أقدمه عليه ، وكانت أيامه سبعة أشهر . وقدم هرثمةُ بن أعين والياً على إفريقية .

ومن شعره عند فتكه بمحمد بن الفارسي ، وكان من أصحابه ثم خرج عليه في أهل خراسان ومن أطاعه ، وتناهضا للحرب فسكر ابنُ الجارود به ، ودعا إلى الكلام ، وأمر شجاعاً من فرسانه إذا رآه معه أن يفتك به ، فتم ذلك وانهمزم أصحابه . وقال ابنُ الجارود في ذلك ^(١) :

(١) سبق أن ذكرنا ابن الجارود وما كان من حربه مع الفضل بن روح بن حاتم . وجميع الرجال الذين ذكرهم ابن الأبار هنا ورد ذكرهم عند ابن عذارى (٨٦/١ - ٨٨) والنويرى (١٢٧ - ١٣٠) . أما الحادثة التي أوجزها ابن الأبار هنا فقد أوردتها النويرى بتفضيل يمتنا منه هنا أن محمد بن يزيد الفارسي - الذي يغلب على ظننا أنه ابن واقد أيضاً - كان من رجال الفضل بن روح بن حاتم وأنصاره ، ثم انقلب عليه وانضم إلى ابن الجارود طالما كان السلطان له . فلما أقام هارون الرشيد هرثمة بن أعين عاملاً على إفريقية أرسل معه رجلاً من ثقافته منهم يقطين بن موسى ، وكان من كبار جند الخراسانية ، وكان نفر كبير من جند إفريقية خراسانيين ، وبتأييدهم تمكن ابن الجارود من هزيمة الفضل بن روح بن حاتم ومن كان يؤيده من الجند العربى . وقد تمكن يقطين من إقناع ابن الجارود بالعودة إلى الطاعة ، ولكنه تكلأ في الخروج إلى بغداد . فلجأ يقطين إلى الحيلة ، واتفق مع محمد بن يزيد الفارسي على أن =

لقد رامني ابنُ الفارسيّ بكيدِهِ فوافقَ أمضى منه عزماً وأكيداً
 عشيةً أدعوه^(١) ليسمعَ منطقي فاعجزه إصدارُ ما كان أوردا
 فداريته حتى اطمانَ جنانهُ وكنتُ امرأً مثلَى أغار وأنجدا
 أشرتُ إلى ذى نجدة^(٢) فانكفالهُ بأسمَرِ خطيِّ إذا مال أقصدنا
 فما زال قابَ القوسِ إلا وعامل^(٣) من الرمحِ دامٍ بينَ خَصْنِيهِ^(٤) قدبدنا
 فقل للعلاء^(٥) : قد أصابتُ محمداً مَنِيَّةُ يومٍ ، فارتقبُ مثلها غداً

= يترك ابن الجارود « ووعده بالتقدم وقيادة ألف فارس وصلة وقطعية في أي المواضع شاء ، على أن يفسد حال عبد الله بن الجارود ، ففعل ذلك ، وسعى في إفساد الخواطر على ابن الجارود » ، وقد عرف ابن الجارود كيف ينتقم منه . فلما اتقيا للحرب دعاه للتحدث معه كأنه يريد أن يعرض عليه أمراً قبل القتال ، فانخدع محمد بن يزيد الفارسي وخرج إليه ، وكان ابن الجارود قد أُرصد له رجلا من أنصاره يسمى أباطال ، فانقض عليه أثناء الحديث وقتله .

(١) الأصل : يدعوه ، وقد قومها السياق .

(٢) الإشارة هنا إلى أبي طالب النوى ذكرناه .

(٣) عاملُ الرمحِ وعاملته صدره دون السنان ، ويجمع عوامل ؛ وقيل عامل الرمح

ما يلي السنان (اللسان : ٥٠٥/٤) .

(٤) كذا في الأصل ، والحركات واردة في المخطوط . ولم أجد في المعاجم ، والأغلب

أنه « حَصْنِيهِ » ومعناه هنا : جنبيه .

(٥) هو العلاء بن سعيد ، كان والياً للفضل بن روح بن حاتم على الزاب ، فلما قتل ابنُ

الجارود الفضل بن روح بمعاونة الجند الخراسانية نهض قادة العرب بمن معهم لتأثر منه ، وقد تولى ذلك شمدون الثقائد . وكان أول من استجاب للنداء أبو عبد الله مالك بن المنذر الكلبي عامل « ميلة » ، فالتق مع ابن الجارود فانهزم وقتل ، فأرسل شمدون إلى العلاء بن سعيد فاستقدمه من الزاب ، وكان في جنده عدد عظيم من البربر ، فأقبل العلاء بن سعيد إلى الأربس - وهو الموضع الذي قتل فيه أبو عبد الله مالك بن المنذر - واجتمع بشمدون الثقائد وفلاح بن عبد الرحمن الكلاعي وغيرهما من القواد . وفي هذه الأثناء أرسل الرشيد هرثمة بن أعين أميراً على إفريقية ، فأرسل هرثمة يقطين بن موسى ، وكان من رؤساء جند الخراسانية ، ليقنع ابن الجارود بالدخول في الطاعة ، فلما أبلغه نبأ استعمال الرشيد هرثمة أجاب بالسمع والطاعة ، لكنه رفض الخروج =

وهو القائل أيضاً في مصرع مالك بن المنذر ، يخاطب العلاء بن سعيد
عند ما زحف إليه :

أفي كلِّ يومٍ نائمٌ قتلته بفضل^(١) ، وما ينفكُّ لافضلٍ نائمٌ
قضيتُ لنفسى المنذرَ في قتلِ مالكٍ وإني لها قتلَ العلاءِ لفاذرُ
فما للعلاءِ خيرةٌ في لقائنا وليس له في الناسِ إن فرّاً عاذرُ

٢٦ - مالك بن المنذر الكلبي ، أبو عبد الله

كان والياً على « ميلة » ، فدعاه جند حمص وغيرهم من العرب فأمره
لطلب ثأر الفضل بن روح . واجتمع إليه الناس والتقى هو وابن الجارود فانهزم
أصحاب مالك ، فترجّل عن فرسه وشدّ في نفرٍ من أصحابه وهو يقول :

يا موتُ إني مالكُ بنُ المنذرِ أهتِكُ حشَوَ البيضِ والسَّوَرِ
[١-٢٥] / أقتلُ مَنْ صابَرَ أو لم يصبرِ كأنني أفعلُ ما لم يُقدَرِ

= من إفريقية وقال : « . . . ومع العلاء البربر ، فإن تركت الثغروثب البربر فأخذوه ، وقتلوا
العلاء ، ولا يدخله وال لأمير المؤمنين أبداً ، فأكون أشأم الخلق على هذا الثغر ، ولكن أخرجُ
إلى العلاء ، فإن ظفري فشانكم بالثغر ، وإن ظفرتُ انتظرتُ قدوم هرثمة . . . » . ولم يستطع
ابن الجارود أن يهزم العلاء ، بل اضطر إلى مغادرة إفريقية . وقد استولى العلاء على القيروان
بعد ذلك ثم دخل في طاعة الرشيد وقال إنه صاحب الفضل في إخراج ابن الجارود من المغرب
وتخليصه منه ، فأجازه هرثمة بجائزة سنوية ، وأرسل إليه الرشيد ١٠٠ ألف درهم سوى الكساء ،
وخرج يريد بغداد فات بمصر ، وكان ذلك سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ . النويري ١٢٩ - ١٣٠ .
(١) يريد الفضل بن روح بن حاتم .

تفرج إليه ابن الجارود وهو يقول :

إلى فاذن ، مالك بن منذر
أنا الذى قتلتُ ربَّ المنبر^(١)
جرَّعتُه كأسَ الحِمامِ الأحمرِ
فاصبرْ ستلقاهُ وإن لم يصبرِ
فقتل مالكَ بهمم وانهمز أصحابه .

٢٧ - العلاء بن سعيد بن مروان المهلبى

كان والياً على الزاب ، فأقبل منها لمحاربة ابن الجارود . ولما وصل إلى
الأربُس اجتمع مع أهل الشام ، وبلغ ذلك ابن الجارود فقال : « أفي كلِّ يومٍ
ثائرٌ قد قتلته » . . الأبيات الرائية المتقدمة ، وكتب إليه كتاباً معها فجاوبه
العلاء عنه وقال يخاطبه :

لممرك يا عبْدوى ما كنتُ تاركاً دمَ الفضلِ أو يكسُوني الترابُ ثائرُ
نذرت دمي فانظرْ إذا ما لقيتني على من بكأسِها تدور الدوائرُ
ستعلمُ إن أنشبتُ فيك مخالبي إلى أىِّ قرْنٍ أسلمتكَ المقادرُ
ثم أقبل العلاء فصادف ابنَ الجارود قد خرج إلى يحيى بن موسى خليفة
هرثمة بن أعين ، فكان العلاء يدعى أنه الذى أخرج ابنَ الجارود من إفريقية .

(١) الإشارة هنا إلى الفضل بن روح بن حاتم أيضاً .

٢٨ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مزين الأودي^(١)

أصل سلفه من أكنونبة ، وصارت بها لعقبه رئاسة بعد افتراق الجماعة بقرطبة إلى أن غلب على آخرهم المعتضد عباد بن محمد صاحب إشبيلية .

وسكن إبراهيم هذا - وهو والد يحيى بن إبراهيم بن مزين الفقيه صاحب تفسير الموطأ - قرطبة ، وكان يتعاقب مع الحجاب وجلة الوزراء والقواد في أيام الحكم بن هشام . ثم ولاء إمارة طليطلة أعواماً متصلة ، وكان قد وليها قبله جده إبراهيم بن مزين الكاتب ، وابن الفرضي يجعل بنى مزين موالى

[٢٥-ب] رَمَلَة بنتِ عُمَانَ بنِ عَفَانَ / رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وإبراهيمُ بنُ مُحَمَّدٍ هو القائل :

يَا بِي أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ مَلِيحٍ لَيْسَ فِيهِ لَعْنٌ تَأْمَلُ «لَوْلَا»
رَوْضَةُ الْحُسْنِ فِيكَ تُزْهِى وَلَكِنْ كُلُّ حَوْلٍ يَنْبَغِي رَبِيْعَكَ حَوْلًا

٢٩ - محمد بن مقاتل بن حكيم العكي

ولاه الرشيد إفريقية بعد هرثمة بن أعين ، وكان - فيما يقال - رضيع

(١) بنومزين أسرة معروفة في الأندلس ، وأشهر رجالها محمد بن عيسى بن مزين المؤرخ والفقيه المعروف . ولم أجد عن إبراهيم هذا إلا إشارة بسيرة يبدو أنها تدور على جده إبراهيم بن مزين أيضاً (الضبي ، بقية الملتصق ، رقم ٥٢١ ص ٢١٠) . أما يحيى ابنه فقد ترجم له ابن الفرضي وقال إنه مولى رملة بنت عثمان بن عفان رضى الله عنه ، من أهل قرطبة وأصله من طليطلة ، وهو تلميذ عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى والغازي بن قيس وطبقتهم ، أى أنه من الطبقة الثانية من مالكية الأندلس . وله كتب كثيرة ذكرها ابن الفرضي (رقم ١٥٥٦ ص ٢٢ ص ٤٦-٤٧) توفي ١٢ جمادى الأولى ٢٥٩/١٧ مارس ٨٧٢ .

الرشيد . وكان جعفر بن يحيى شديد العناية به ، فقدم القيروان سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان ، وكان أبوه مقاتل بن حكيم من كبار القائمين بالدعوة العباسية ، وحضر مع قحطبة بن شبيب حروب الروانية ، ثم قتله عبد الله بن علي لما خلع وادعى الأمر .

ولم يلبث محمد بن مقاتل أن اضطرب أمره ، واختلف عليه جنده ، وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي — وكان عامله عليها ، وهو جد أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام صاحب « طبقات إفريقية » — فزحف إلى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، فخرج إليه ابن العسكّي فانهزم ، ودخل تمام القيروان في آخر رمضان المذكور ، فأمنه على دمه وماله على أن يخرج عنهم .

وكان إبراهيم بن الأغلب والياً على الزاب ، فنهض منها في نصرة محمد بن مقاتل . وعلم تمام أنه لا طاقة له به ، فتخلى عن القيروان ورجع إلى تونس .

ودخل إبراهيم القيروان ، فبدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم صعد المنبر فخطب الناس وأعلمهم أن أميرهم محمد بن مقاتل . وكتب إليه فأقبل راجعاً^(١) .

وأراد تمام أن يُحرّش بينهما فكتب إلى محمد بن مقاتل كتاباً في آخره^(٢) :

وما كان إبراهيم من فضل طاعة
يرد عليك الشفر لكن لتقتلا
فلو كنت ذا علم وعقل بكيد
لما كنت منه يا ابن عك لتقبلا
فهما تاشأ يفتك منه ابن غالب
ومهما يشأ فيك ابن أغلب يفعلا

(١) أورد التويري (١٣١-١٣٢) وابن عذارى (٢/٩٠) الخبر بتفصيل . قال ابن عذارى : « فدخل ابن الأغلب القيروان ، وابتدر المسجد الجامع ، وصعد المنبر ، وكان بليغاً ، فأعلم الناس أنه ما وصل إلا لنصرة محمد بن مقاتل ، وأنه هو أميرهم المقدم عليهم من أمير المؤمنين ، وكتب إلى المكي يخبره بما فعل في حقه ، ويؤكد عليه في الوصول ، فأقبل راجعاً . . . »

(٢) راجع نص هذا الكتاب عند ابن عذارى ٢/٩١ .

فجاوبه العكي بـتقيض ذلك وكتب في أحفل كتابه :

[٢٦-١] / وإني لأرجو إن لقيت ابن أغلب غداً في المنايا أن تُقلَّ وتُقتلا
تُلاقِي فتى يستصحب الموت في الوغى ويمحى بصدر الرمح عزاً مؤثلاً
كأنك قد صاحت في بطن كفه من البيض محمود المهزة متصلاً
وأقبل تمام ثانية في عسكر ضخم ، فخرج إليه إبراهيم وابن العكي وراءه ،
فانهزم تمام عند التقائهما . وعاد ابن العكي إلى القيروان واتبعه ^(١) إبراهيم
إلى تونس ، فطلب منه الأمان فأمنه ورحل به إلى القيروان . وبعقب هذا ورد
كتاب الرشيد بعزل ابن العكي وتولية إبراهيم بن الأغلب .

٣٠ - الخصيب مولى ابن العكي

قدمه محمد بن مقاتل مولاة لحرب مخلد بن مرة ^(٢) - الخارج عليه قبل
تمام بن تميم - وأمره على الجيش الناهد صاحبته ، فصبح القوم آمن ما كانوا ؛

(١) الضمير هنا عائذ على تمام بن تميم . ويبدو أن الناسخ أسقط هنا شيئاً ، وإليك الخبر
كما يقصه ابن عذارى في حوادث ٧٩٩/١٨٣ و ٨٠٠/١٨٤ : « وأقبل تمام من تونس بعسكر
عظيم ، وأمر ابن العكي من معه من أهل الطاعة بالخروج إليه مع إبراهيم بن الأغلب ، فتقاتلوا
قتالاً شديداً ، فانهزم تمام ، وانصرف ابن العكي إلى القيروان ، وأمر إبراهيم بن الأغلب
بالمسير إلى تونس . وفي سنة ١٨٤ خرج العسكر من القيروان لحصار تونس وقاتل تمام وذلك
في المحرم منها ، فلما بلغ تماماً إقباله طلب الأمان منه ، فأمنه إبراهيم ، وأقبل به إلى القيروان
يوم جمعة ، ثمان خلون من المحرم المذكور » (٩٢/٢ - ٩٣) .

(٢) زيادة في التعريف بالحوادث التي يذكرها ابن الأبار هنا نورد الفقرة التالية من
« نهاية الأرب » للتويرى (ص ١٣١) : « ولما كتب هرثمة [ابن أعين] إلى هارون [الرشيد]
يسأله الإغناء وجه محمد بن مقاتل [العكي] أميراً للفرب ، وكان رضيع هارون ، فقدم القيروان
في شهر رمضان سنة ١٨١ ، ولم يكن بالحمود السيرة ، فاضطربت عليه أحواله واختلفت جنده ، =

وهم خمسمائة من أهل خراسان والشام . وكان الذي هاج ذلك فلاح بن عبد الرحمن الكلاعي ، ققتل مخلد بن مرة أميرهم وعدة ممن كان معه ، وانهمزم أصحابه إلى تونس . ومّر الخصبُ بمنزل فلاح فأحرقه ، وأخذ امرأته فانطلق بها وقال في ذلك :

لو كنت حُرًّا يا فلاحُ صيرتَ لي وحيثَ عِرْسِكَ والفتى يَحْمِي
لكنْ هربتَ من القِرَاعِ وأسلمتْ كِفَاكَ حُرْمَتَهَا على الرَّغْمِ
ما النجمُ أبعدُ منك - لو طالبتَهُ لئن الله بيديك - من سَلَمِي

٣١ - تمام بن تميم الدارمي التميمي ، أبو الجهم

القائم على ابن العكي المذكور آنفاً

وهو ابن عم إبراهيم بن الأغلب . قد تقدم من خبره وشعره ما أغنى عن إعادته هنا ؛ وفي « الكتاب المُعَرَّب عن أخبار المُعَرَّب » تأليف أبي علي الحسن بن أبي سعيد القيرواني ، أن تماماً هذا لما سمع بحركة إبراهيم بن الأغلب إليه من الزَّاب في محاربتة ونصر ابن العكِّي ، كتب إليه كتاباً يستدعيه ويستعطفه وكتب في أسفله :

= وكان سبب الاضطراب عليه أنه اقتطع من أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفي الرعية ، فقام فلاح [بن عبد الرحمن الكلاعي القائد] ، ومشي في أهل الشام وخراسان ، حتى اجتمع رأيهم حل تقديم مرة بن مخلد الأزدي (وفي خطوط آخر : الأسيدي ، وكذلك عند ابن عذارى وابن الأثير) وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي ، وكان عامله عليها ، فبايعه جماعة من القواد وأهل الشام وأهل خراسان ، فخرج في النصف من شهر رمضان سنة ١٨٣ إلى القيروان ، وخرج إليه ابن العكي ، فبين معه ، فقاتله قتالاً شديداً في « منية الخيل » فانهزم ابن العكي ، ودخل القيروان ، وتحصن في دار كان قد بناها ، وجلا عن دار الإمارة . . . » ، وقد أضفت الحواصر والأقواس وما بيئها. زيادة في التوضيح .

[٢٦- ب] / أَقَدِّمَ لِإِبْرَاهِيمَ عِلْمًا بِفَضْلِهِ وَحَقُّ لَهٗ فِي الْأَمْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ
 وَقُلْتُ لَهُ : فَاحْكُمْ فَحُكْمُكَ جَائِزٌ عَلَيْنَا فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِينَا مُقَدَّمًا
 وَرُدُّ فِي بِلَادِ الزَّابِ مَا شِئْتَ قَادِرًا وَإِنْ شِئْتَ مُلْكَ الْعَرَبِ خُذْهُ مُسَلِّمًا
 فجاوبه ابن الأغلب بخلاف ذلك وكتب إليه في أسفل كتابه :

دَعَوْتَ إِلَى مَا لَوْ رَضِيتُ بِمَثَلِهِ لَمَا كُنْتُ — يَا تَمَّامُ — فِيهِ مُقَدَّمًا
 سَأَجْعَلُ حُكْمِي فِيكَ ضَرْبَةَ صَارِمٍ إِذَا مَا عَلَا مِنْكَ التَّمَارِقَ صَمًّا
 سَتَمَلُّ لَوْ قَدْ صَاغَتْكَ رِمَاخُنَا بِكَفِّ الْمَنَائِي ، أَيُّنَا كَانَ أَظْلَمًا

فذكر عن فلاح الكلاعي أنه قال : « كنت عند تمام يوم قرأ كتاب
 إبراهيم ، فذهب لونه ثم ارتعد حتى سقط الكتاب من يده . وكان صارمًا
 شجاعًا ممدحًا ، وفيه يقول الفضل بن النهشل يمدحه من قصيدة :

أَسْحَتْ وَمَنْزَلُهَا مِصْرٌ وَمَنْزَلُنَا بِالْقَيْرَوَانِ ، وَيَا تَشَوَّاقَ مُقْتَرِبِ
 أَخَا بَنِي نَهْشَلٍ ، دَعَا فَقَدْ نَزَحْتُ وَامْدُخْ قَرِيبَ مَعَدِّي وَاحِدَ الْعَرَبِ
 تَمَّامُ كَبِشُ بَنِي عَدْنَانَ قَاطِبَةً الدَّارِمِيُّ الْكَرِيمُ الْبَيْتِ وَالنَّسَبِ
 الْفَارَسُ الْبَطْلُ الْخَامِيُّ حَقِيقَتَهُ وَالنَّاعِشُ الْوَأَشُّ الْقَرَّاجُ لِلْكَرْبِ
 تَأْوَى إِلَيْهِ نِزَارٌ حِينَ يَدُهُمَا رَيْبُ الزَّمَانِ وَتَحْشَى سَطْوَةَ الْوُثُبِ
 أَعْطَتْ بَنُو دَارِمٍ فِي الْمَجْدِ رَايَتَهَا بَنِي الْمُجَاشِعِ يَوْمَ الْفَخْرِ وَالْحَسَبِ

قال أبو العرب ، وذَكَرَ ولايةَ جَدِّهِ تَمَّامِ هَذَا إِفْرَيقِيَّةَ بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ مِقَاتِلِ
 السَّكِّيِّ : « تَمَّامُ بْنُ تَمِيمٍ : هَذَا هُوَ جَدُّنَا ، هُوَ ابْنُ الْقَادِمِ مِنَ الْمَشْرِقِ » . قَالَ :
 « وَتُوفِيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةَ بَيْغَدَادَ » .

وفي « الكتاب العرب عن أخبار العرب » أن إبراهيم بن الأغلب لما صار
 الأمر إليه بمث به وبجماعة معه — من وجوه الجند الذين كان شأنهم الوثوب

على الأمراء — إلى الرشيد ، فأما تمام فإنه حُبس إلى أن مات في حبسه .

وَحُكِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ / وَعَدَ أَخَاهُ سَلَمَةَ بْنَ تَمِيمٍ إِطْلَاقَهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ [٢٧-١] ابْنَ الْأَغْلَبِ فَكَتَبَ إِلَى عَمَتِهِ وَهِيَ بِنْدَادُ فِي سَمِّهِ ، فَاشْتَهَى تَمَامَ حَوْتًا فَسَمَّتَهُ لَهُ ، فَاتَتْ مِنْ أَكْلِهِ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ بِصَرُّهُ فِي الْمَطْبِقِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ . وَعَلِمَ الرَّشِيدُ بِذَلِكَ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَتَوَجَّعَ لَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَى سَلَمَةَ أَخِيهِ وَصَرَفَهُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ .

٣٢ — إبراهيم بن الأغلِب بن سالم بن عقال ، أبو إسحق

ولاه الرشيدُ إِفْرِيقِيَّةَ بعد محمد بن مقاتل العَكِّي فاستقلَّ بِمُلْكِهَا وَأَوْرَثَ سُلْطَانَهَا بَنِيهِ نَيْفًا عَلَى مِائَةِ سَنَةٍ . وَكَانَ فَقِيهًا عَالِمًا أَدِيبًا شَاعِرًا خَطِيْبًا ، ذَا رَأْيٍ وَبَأْسٍ وَحِزْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِالْحَرْبِ وَمَكَائِدِهَا ، جَرِيءُ الْجَنَانِ طَوِيلَ اللِّسَانِ حَسَنَ السِّيَرَةِ ، لَمْ يَلِ إِفْرِيقِيَّةَ أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ أَعْدَلَ فِي سِيَرَةٍ وَلَا أَحْسَنَ لِسِيَاةٍ وَلَا أَرْفَقَ بِرَعِيَّةٍ وَلَا أَضْبَطَ لِأَمْرِ مِنْهُ .

وَكَانَ فِي أَوَّلِ حَالَتِهِ كَثِيرَ الطَّلَبِ لِلْعِلْمِ وَالِاخْتِلَافِ إِلَى اللَّيْثِ بْنِ سَعْدِ النَّقِيْعِيِّ ؛ وَاللَّيْثُ وَهَبَ لَهُ « جَلَّاجِلَ » أُمَّ ابْنِهِ زِيَادَةَ اللَّهِ ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى وَصَلَ الزَّابَ — وَعَلَى إِفْرِيقِيَّةَ يَوْمَئِذٍ الْفَضْلُ بْنُ رُوْحِ بْنِ حَاتِمٍ — فَلَقِيَ مِنْ تَعْصِبِهِ وَسُوءِ مَجَاوِرَتِهِ عَظِيمًا . وَأَقَامَ أَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْأَغْلَبِ بِبَصْرَةَ ، وَكَانَ ذَا نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَلَمَّا تَوَفَّى ارْتَحَلَ بَنُوهُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ .

وَوَلَّى الزَّابَ مِنْ قَبْلِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَابْنِ الْعَكِّيِّ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نُصْرَتِهِ لِابْنِ الْعَكِّيِّ إِلَى أَنْ صُرِفَ يَبْرَاهِيمَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .

وتوجه إلى المشرق ، فلما بلغ طراباسَ دَلَسَ له كاتبُه داوودُ القيرواني على لسان
الرشيد كتاباً بإقراره على إفريقية وانصرافه إلى عمله ، فتمشَّى ذلك زماناً .
وبلغ الرشيدَ فغاضه ، وأسجلَ لإبراهيمَ بولاية إفريقية ثانيةً ، فاشتد عند ذلك
سلطانُه وعظُم دون الملوك الذين تقدموه شأنُه ، وخرج ابنُ العكَّي من إفريقية
وأعمالها . وعلى هذه الحال لم يُكافِ إبراهيمَ على حُسن ما أسلفه في جانبه
إلا بأقبح الأفعال .

ومن فضائل إبراهيم الماثورة ، وجلائل أنبائه المسطورة ، أنه عفا عن داوود
كاتب ابن العكَّي وأسقط التثريبَ عليه وقبِلَ متابَهَ فأمنه واستعمله ، وقد
ذكرتُ ذلك في تأليفي المترجم بـ « إعتاب السُّكَّاب »^(١) ، وهو القائل وقد
خلفَ أهله بمصر في قصده الزَّاب :

[٢٧-ب] / ما سرتُ ميلاً ولا جاوزتُ مرحلةً إلا وذكرُكُ يَبْنِي دائباً عُنقِي
ولا ذكرتُكُ إلا بِتُ مُرتَفَعاً أرعى النجومَ كأنَّ الموتَ مُعتنِقِي

البيت الأول نظير قول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في زوجه :

إذا سرتُ ميلاً أو تغنَّتُ حمامةً دعتنى دواعى الشوق من أمِّ خالدٍ

وكان محمد بن سيرين يقول : « هو أشوق بيت قالته العرب » .

وقال إبراهيم وهو بالزاب في قتل ابن الجارود للفضل بن رَوْح بن حاتم ،
وقد بلغه أن نصر بن حبيب المهلبى^(٢) أشار بردَّ الفضل من طريقه ، لأنه خاف

(١) انظر : إعتاب السُّكَّاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صالح الأشر (مطبوعات

مجمع اللغة العربية بدمشق) دمشق ١٩٦١ ، رقم ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) نصر بن حبيب المهلبى ، رابع من تولى أمر إفريقية من المهالبة ، وليها في ٢٠

رمضان ٣١/١٧٤ يناير ٧٩١ بعد موت رَوْح بن حاتم بن قَبِيصَةَ بن المهلب بن أبي صفرة ،

أن يُحدث حدثاً فيقتله ابنُ الجارود بسببه^(١) :

يا نصرُ قد أصبحتَ الأمّ من مَضَى منكم^(٢) والامّ حاضرٍ معلومٍ
لما أشرتَ بردً فضلٍ بعدما قطعَ البلادَ على أقب^(٣) رَسومٍ
لم تروضَ بالخلدانِ حتى كِدته لا زلتَ مخذولاً بغيرِ حميمٍ
ما كفتَ حينَ غدوتَ تنشرُ لحيّةً فيها لِقومِك غَدْرَةٌ بكرِيمٍ
لو كان ناداى أجبتُ دعاهه بالخيلِ أقمِها بسعدِ تميمِ^(٤)
خيلٌ بها أهديَ المنايا للمدى وبها أفرجَ كُرْبَةَ المكظومِ

= وكان هذا الأخير شيخاً. مسناً غلب عليه الضعف حتى كان يغلبه التماس إذا جلس للناس ، فكتبه أبو العنبر القائد وصاحبُ البريد إلى الرشيد يقترحان تولية نصر بن حبيب سراً ، حتى إذا مات الفضل لم يضطرب الأمر ، فأجاب الرشيد . وعندما توفي روح بن حاتم في التاريخ المذكور حاول ابنه قبيصة أن يتولى الأمر بدون عهد ، ولكنه اضطر للتخلّي لنصر عندما تبين أن الرشيد عهد إليه . وقد أقام نصر والياً على المغرب سنتين وثلاثة أشهر ، إذ عزل بالفضل بن روح بن حاتم في المحرم ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

انظر : النويري ، ص ١٢٧ .

(١) يفهم من هذا أن إبراهيم بن الأغلب قال هذه الأبيات قبل ولايته أمر إفريقية بزم طويل ، فقد قتل الفضل سنة ١٧٨ / ٧٩٤ ، وتولى إبراهيم إفريقية في منتصف جمادى الآخرة سنة ١٨٤ / يونيو ٨٠٠ . وظاهر من الأبيات أن ابن الأغلب كان يتهم نصر بن حبيب المهلبى بأنه كان سبب قتل الفضل بن روح بن حاتم على يد ابن الجارود . وذلك أن هذا الأخير بعد أن هزم الفضل ودخل القيروان أخرج الفضل منها وتركه ليعود إلى المشرق ، ثم رده برأى نصر بن حبيب المهلبى كما يفهم من ذلك الخبر ، وكانت النتيجة أن قتل الفضل وأخرج بقية بني المهلب من إفريقية . ويبدو أن نصر بن حبيب فعل ذلك انتقاماً من الفضل ، لأن هذا ، بعد وفاة أبيه روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب في رمضان سنة ١٧٤ ، ذهب إلى بغداد وأقام على باب الرشيد يلج في طلب الولاية حتى أجيب إلى طلبه ، فعزل نصر بن حبيب وتولى الفضل في المحرم ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

(٢) الإشارة هنا إلى بني المهلب .

(٣) الفرس الأقب هو الذي لحقت خلفه تاه بجانيه ، كناية عن الضمور . اللسان : ١٥٢ / ٢ . والرّسوم هو الفرض . اللين السير مع سرته .

(٤) من المعلوم أن بني الأغلب تميميون .

وقال أيضاً في دخوله القيروان قائماً بنصرة ابن المكي وهرب تمام بن تميم أمامه :

لو كنت لاقيت تماماً لصال به ضرب يفرق بين الروح والجسد
 لكنه حين شام الموت يقدمني ولي فراراً وخلى لي عن البلد
 إن يستقم نفء عما كان قدمه وإن يعقد بمداه في غدره نعد
 ثم نزل عن المنبر وكتب إلى محمد بن مقاتل يستمده إلى عمله وقال
 في ذلك :

أشكرُ عنا ما صنعتُ برَّبِّها^(١) وردى عليها الثغرَ أم هي تكفرُ ؟
 / نقيتُ لها التمام^(٢) بالسيفِ عنوةً ولم يُغنيه في الله ما يتنصرُ
 فأقبل إلى ما كنت خلفت كارهاً فقد ذاد سيفي عنك ما كنت تحذرُ
 وقال أيضاً في ذلك :

ألم ترني رددتُ طريدَ عكٍ وقد تزحت به أيدي الركابِ
 أخذتُ الثغر في سبعين ميناً وقد أوفى على شرف القهابِ
 هزمتُ لهم يمدتهم أوقاً كأن رعيهم قزعُ السحابِ

قال إبراهيم هذا لأنه قصد نصرة ابن العكبي في سبعين فارساً من أهل بيته وخاصة إقداماً ونجدة ، فقال بعض شعراء إفريقية في ذلك :

ما سر يوم لإبراهيم نعله إلا وشيمته للجود والباسِ

(١) المراد برَّبِّها هنا وإليها أوحاكتها ، والإشارة إلى تمكنه من رد محمد بن مقاتل المكي إلى الولاية بعد هروبه .

(٢) التمام هو تمام بن تميم التميمي .

ولما حارب تماماً وابن الصكّي بالقيروان ، حمل على اليمينة وهو يقول :
أطمئنتهم ولا أرى لي كُفواً حتى أنال ما أريدُ عفواً
أو أخسون كأس النايأ حشواً

ثم رجع إلى الميسرة بعد أن كسر اليمينة وهو يقول :
قد علمتُ سعدٌ وأبناه مُضَرُّ أنى مننتُ عزّها أن يُعْتَصِر
وأنى فخارها لمن فخره

فتمضها ، ثم رجع إلى القلب فشدّ عليه وهو يقول :
يا قلبُ قد أبصرتَ صاحبيكا ما تقيا مني فخذُ إليكا
خرباً يثور ووقه عليك كيف ترى دقمي بجانبيك
وحل أصحابه فكانت الهزيمة على تمام .

وله حين وجه بمن كان يخاف أمرهم من وجوه الجند إلى الرشيد^(١) :

ما سار كيدي إلى قومٍ وإن كثروا إلا رمى شهبهم بالحزم فانصدعاً
ولا أقولُ ، إذا ما الأمرُ نازلني : « يا ليتته كان مصروفاً ! » ، وقد وقعاً
/ حتى أجليته قهراً بمعتزم كما يُجَلّي الدجى بدرٌ إذا طلماً [٢٨-ب]
قوماً قتلُ وقوماً قد تفيتهمُ ساموا الخلاف بأرضِ الغربِ والبداً
كللاً جزيتهمُ صدعاً بصدعهمُ وكلُّ ذى عملٍ يُجزى بما صنعا

(١) سبق أن ذكر ابن الأبار كيف أرسل إبراهيم بن الأغلِب تمام بن تميم التميمي وأخاه سلمة إلى بغداد ، حيث حبسه الرشيد في المطبق حتى مات فيه . وجاء في نهاية الأرب للتويري : « فلما صار الأمر إلى إبراهيم بن الأغلِب بعث تماماً بن تميم وغيره من وجوه الجند الذين شأنهم الثوب على الأمراء إلى بغداد » فحيسوا في المطبق » (ص ١٣٤) .

وله أيضاً وهو من جيد شعره :

ألم ترني أزدبتُ بالكيدِ راشداً وأنى بأخرى لابنِ إدريسٍ راصداً
تتاولُهُ عزمي على بآيِ دارِهِ بمختومةٍ في طَيِّبِنِ المكائِدُ
وقد كان يرجو أن يفوتَ مكائدي كما كان يخشاني على البُعدِ راشداً
ثلاثون ألفاً سُمَّتَنِ لِقَتْلِهِ لأصلِحَ بالعربِ الذي هو فاسداً
فأضحى لدينا راشداً يَنْتَبِذُهُ بناتُ المنايا والحِسانِ الخرائدُ
فناهَ أخو عَكَ بِمَهْلِكِ راشداً وقد كنتُ فيه ساهراً وهو راقداً^(١)

راشد هذا هو مولى عيسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وكان عاقلاً شجاعاً أيداً ، خرج بإدريس بن عبد الله أخى مولاه عند انهزامه في وقعة « فح » — وقد تقدم ذكرها — وانتمس به في حاج أهل مصر ، وغير زيه وألبسه مدرعةً وعمامة غليظة ، وصيره كالغلام يخدمه ، ولما أمره ونهاه أسرع في ذلك . وتخلص إلى إفريقية في خبر طويل ، فترك دخولها ثم سار به في بلاد البربر حتى انتهى إلى فاس وطنجة ، فأظهر إدريس هنالك أمره وأخبر بنسبه ، ودعا البربر إليه فأجابوه ، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة ، في السنة التي توفي فيها عبد الرحمن بن معاوية وولى ابنه هشام الرضا ، وفي السنة الثانية من خلافة هارون الرشيد ، أقام بين أظهر البربر مسلماً مطاعاً . وبلغ الرشيد خبره فشق عليه ، وشكا ذلك إلى يحيى بن خالد فدرس إليه من

(١) سيفصل ابن الأبار بعد ذلك كيف دبر إبراهيم بن الأغلب قتل راشد ، وكان ذلك أثناء ولايته للزاب ، أي قبل أن يلى إفريقية ، وسيذكر كيف أن عمه بن مقاتل المكي زعم هارون الرشيد أنه هو الذي قتل راشداً ، ثم علم الرشيد بذلك ، فكان من أسباب توليته إفريقية . وهذه الأبيات ظاهرة التحل ، فهي تخط بين مقتل راشد وموت إدريس الأول مسموماً .

سَمَّهُ فِي غَالِيَةِ ، وَقِيلَ فِي ذَرُورٍ ^(١) اسْتَنَّ بِهِ ، وَقِيلَ فِي دُلَاعَةِ ^(٢) قَطَعَهَا بِسَكِينٍ ،

نَصَبُهَا مَسْمُومٌ وَالثَّانِي غَيْرُ مَسْمُومٍ ، وَقِيلَ فِي بَطِيخَةٍ . وَهَرَبَ هُوَ / وَصَاحِبُ لَهُ ، [٢٩-١]
فَيَقَالُ إِنْ رَاشِدًا اتَّبَعَهُمَا وَقَدْ بَدَأَ فَأَدْرَكَهُمَا وَهُوَ وَحْدَهُ عَلَى فَرْسِهِ ، فَشَدَّ عَلَيْهِمَا
بِسَيْفِهِ فَضَرَبَ أَحَدَهُمَا وَقَاتَ الْآخَرَ ؛ وَانصَرَفَ زَاشِدٌ وَهَلَكَ إِدْرِيسُ .

وَيَقَالُ إِنْ الَّذِي دَسَّ الرَّشِيدُ إِلَيْهِ لِيَسْمَهُ هُوَ الشَّمَاخُ الْيَمَامِيُّ ^(٣) ، وَكُتِبَ لَهُ
إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ . فَوَصَلَ إِلَى إِدْرِيسَ وَعَرَفَهُ أَنَّهُ مَتَّطَبَّبٌ وَأَنَّهُ مِنْ
أَوْلِيَائِهِمْ ، فَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَأَنَسَ بِهِ . وَشَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً فِي أَسْنَانِهِ ، فَأَعْطَاهُ سَتُونًا
مَسْمُومًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَنَّ بِهِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَهَرَبَ تَحْتَ اللَّيْلِ . فَلَمَّا طَلَعَ
الْفَجْرُ اسْتَنَّ إِدْرِيسُ بِذَلِكَ السَّنُونِ فَقَتَلَهُ ، وَطَلَبَ الشَّمَاخَ فَلَمْ يُقَدِّرْ عَلَيْهِ . وَقَدَّمَ

(١) الذرور كل مسحوق يتداوى به ، والسنون كل مسحوق يستعمل دواءً للأسنان ،
وكانوا يستنون أو يستاكون به .

(٢) الدُّلَاعَةُ مفردٌ دُلَاعٌ ، وَهُوَ الْبَطِيخُ أَوْ نَوْعٌ مِنْهُ ، وَقَدْ عَرَفَهُ صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمَنْصُورِيُّ
بِأَنَّهُ الْبَطِيخُ اخْتَدَى أَوْ السَّنْدِيُّ نَسْبَةً إِلَى السَّنْدِ (وَمِنْ هُنَا تَسْمَى الْبَطِيخَةُ فِي إِسْبَانِيَا إِلَى الْيَوْمِ saodia)
وَيَسْمَى أَيْضًا الْبَطِيخُ الْفَلَسْطِينِيُّ ، وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّهْرَاوِيُّ إِنَّهُ الْبَطِيخُ الشَّامِيُّ . وَيَفْهَمُ مِنَ النَّصِّ
هُنَا أَنَّ الدُّلَاعَ غَيْرَ الْبَطِيخِ ، أَوْ أَنَّهُ صِنْفٌ مِنْهُ عَلَى أَيْ حَالٍ . وَقَدْ قَالَ الرَّحَالَةُ رِيْتَشَارْدَسُونُ إِنَّ الدُّلَاعَ
بَطِيخٌ صَغِيرٌ مِنَ الطَّعْمِ . وَفِي الْمَغْرِبِ إِلَى الْيَوْمِ يَسْمَى الْبَطِيخُ : دُلَاحٌ ، أَمَا مَا نَعْرِفُهُ بِالشَّمَاخِ فَيَسْمَى
الْبَطِيخَ ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ تَفْسِيرُ عِبَارَةِ ابْنِ الْأَبَارِ أَنْ إِدْرِيسَ الْأَوَّلَ سَمَّ فِي شِمَامَةٍ أَوْ بَطِيخَةٍ .
وَالرَّوَايَاتُ كَثِيرَةٌ عَنْ ذَلِكَ الْحَادِثِ .

انظر : دوزي ، ملحق القواميس : ١٤٥٧/١ .

وروض القرطاس لابن عبد الحلیم أو ابن أبي زرع ، طبعة حجر في فاس ، ص ٥ .

وابن خلدون ، تاريخ (بولاق) : ١٣/٤ .

وابن عذاري ، البيان : ٨٣/١ .

(٣) هُوَ إِدْرِيسُ الشَّمَاخُ الَّذِي سَبَقَ ذَكَرَهُ . وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ خَلْدُونَ : « وَدَسَّ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ
مَوْلًى مِنْ مَوَالِي الْمُهَدِيِّ اسْمُهُ سَلِيمَانُ بْنُ حَرِيرٍ وَيَعْرَفُ بِالشَّمَاخِ » (١٣/٤) ، وَوَرَدَ اسْمُهُ
فِي رَوْضِ الْقُرْطَاسِ : سَلِيمَانُ بْنُ حَرِيرٍ (ص ٩) ، وَذَكَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ النَّاصِرِيُّ
السَّلَاوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ « الْاسْتِقْصَا لِأَخْبَارِ دَوْلِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى » . (الدَّارُ الْبَيْضَاءُ ، ١٩٥٤)
ج ١ ص ١٥٨ : سَلِيمَانُ بْنُ حَرِيرٍ وَيَعْرَفُ بِالشَّمَاخِ .

على إبراهيم بن الأغلب فأخبره ، فكتب إبراهيم إلى الرشيد بذلك ، فوَلَّى
الشاخَ بريدَ مصر وأجازَه . وقد تقدم عند ذكره أن الذي سمه سليمان بن جرير
في سمكة مشوية ، وقال في ذلك أشجع السلى من شعراء الرشيد :

أَنْظَن يَا إِدْرِيسُ أَنْكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الْخَلِيفَةِ أَوْ يَبْقِكَ حِذَارُ
إِن السُّيُوفَ إِذَا اتَّضَاهَا عَزْمُهُ طَالَتْ وَتَقَصَّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
هِيَاهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِيْلِدَةً لَا يَهْتَدِي فِيهَا إِلَيْكَ نَهَارُ

وكانت مدة سلطان إدريس بالمغرب ، إلى أن مات بوليلي سنة خمس
— وقيل سنة أربع — وسبعين ومائة ، ثلاثة أعوام وستة أشهر .

وكان قد خرج إلى سبته في شعبان سنة ثلاث وسبعين ، وإلى تازا في
جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين ، وترك حملا من إحدى جواريه ، فقام راشد
بأمر البربر حتى ولدت غلاما ، فسماه باسم أبيه « إدريس » وكفله إلى أن
بلغ العلام .

وعلا أمر راشد واستفحل ، وهم بغزو إفريقية لما كان فيه من القوة وكثرة
الجنود ، فكاده إبراهيم بن الأغلب من الزاب موضع ولايته ، ودس إلى
أصحابه ، وبذل لهم الأموال إلى أن اغتالوه وبعثوا برأسه إليه ، فبعث به إلى ابن
مقاتل العكبي وأخبره بكيدهم إياه وتدييره في قتله ، فبعث به العكبي إلى هارون
الرشيد ونسب ذلك إلى نفسه / دون إبراهيم ، فكتب صاحب بريد المغرب
إلى هارون بصنيع إبراهيم في راشد . فعلى إثر ذلك ولي الرشيد إبراهيم بن
الأغلب إفريقية وصرف عنها العكبي .

وقد قيل إن الرشيد إنما دس إلى إدريس من اغتاله وخاطب إبراهيم
[...]^(١) به وهو عامل له على إفريقية ؛ والأول أصح . وتوفى إبراهيم

(١) بياض بالأصل يمكن أن تكلمه بعبارة مثل : بن الأغلب بأن يعنى .

في شوال لثمان ليالٍ بقين منه سنة ست وتسعين ومائة ، وهو ابنُ ست وخمسين سنة ؛ فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام .

٣٣ - يحيى بن الفضل بن النعمان التميمي ، أبو العباس

كان صاحبَ بريد المغرب أيامَ ابنِ العكبي ، وهو القائل لتمّام بن تميم حين بلغه إقبالُ إبراهيم بنِ الأغلِبِ إليه :

أتمّامُ لا تقعدُ فإني ناصحٌ وخُذْ مُهْلَةً إِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ هَارِبًا
وإلا فعدُّ مِنْ سُخْطِهِ بِأَمَانِهِ فليستَ بِلَاقِي لِابْنِ أَغْلِبَ غَالِبًا
وَلَا تَخْشُونَ كَأَسَا فليسَ بِنَافِعِ تحمّيكَ ما فيها إذا كنتَ^(١) شاربًا

٣٤ - خُرَيْشُ^(٢) بن عبد الرحمن بن خريش الكِنْدِيُّ

ثار بتونس ، وكان صهرَ الحِمْيَرِ بنِ حرب الكِنْدِيِّ المخالفِ على الأغلِبِ ابنِ سالم . ولم يكن من الجند ، ولكنه من أبناء العرب الذين كانوا بإفريقية

(١) في الأصل إن ، ولا يستقيم بها الوزن .

(٢) كذا ورد اسمه في الأصل بكل وضوح ، ولكن النويري (ص ١٤٥) وابن خلدون (١٩٦/٤) جعلاه : حمديس ، وقابهما في ذلك فوندرهايدن في كتابه عن الأغلبية :

M. VONDERHEYDEN, *La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou' Artab, 800-909* (Paris, 1929) pp. 87 sqq.

وقد كتب هذا المؤلف اسم الأغلِبِ هكذا : Artab لكي ينطق حرف ʿ غنياً كما هو في التعلق الفرنسي ، وهو مذهب مستهجن لم يتابعه فيه أحد .

أما ابن عذارى فقد اكتفى بقوله : « وثار عليه الكندي بتونس » فأراح نفسه . وستبين من أبيات لإبراهيم بن الأغلِبِ - يوردها ابن الأبار فيما بعد - أن صحة الاسم خريش .

وقد يكون بالحاه لا بالحاء ، فقد وجدت اسم خريش كثير التوارد .

قبل المَسُوْدَةَ ، فَنُفِغَ المَسُوْدَةَ وَأَتَاهُ العَرَبُ والبربرُ من كل ناحية^(١) . فلما كثر جمعه كتب إلى إبراهيم بن الأغلب :

« من خريش القائم بالعدل إلى إبراهيم بن الأغلب .

أما بعد ، فإني أقتُ عن الخروج قبل يومي هذا لأني كنت أنتظر أن تفنيكم الحرب ؛ فلمررى لقد أرانا الله فيكم ما قوَّى به أهلَ دعوةِ الحقِّ عليكم . فلما وُلِّيتَ أنتِ وعلمتَ أنهم مقسومون بين خوف منك ورجاء لك ، عرفت قلة طمعهم فيك . ولو كان أحدٌ ممن وُلِّيَ هذا الثغر ممن لا ترى طاعته يستحق أن نرضى بولايته ، لكنتَ أنتَ ذلك . وقد كان عليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه يقول : « إذا وُلِّيَ عنكم عدوُّكم من أهلِ الملة فلا تتبعوهم » . ولستُ أُطِيبُك إن خرجتَ عن الثغر ، فلا تُرِدْ أن تصلِّيَ بحربي ، وليكن رأيك طلبَ سلمي ؛ والسلام » .

وكتب في آخر كتابه :

قُلْ جَهْرَةً لِأَبِي إِسْحَاقَ تَنْصَحُهُ هَذَا فِرَاقُكُمْ لِلْعَرَبِ قَدْ حَانَ
[٢٠-١] / فَلَا يَمُودُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ أَحَدٌ حَتَّى يَمُودَ مِنَ الْأَجْدَاثِ مَوْتَانَا
فَارْجِعْ عَنِ الْعَرَبِ أَوْ أَلْقِ السَّوَادَ بِهِ^(٢) لَا تَخْتَرِمَكَ الْمَنَائِيَا حِينَ تَلْقَانَا

(١) هذه العبارة عظيمة الأهمية ، وهي تكشف لنا عن حقيقة حركات بني عبيدة بن عقبة ابن نافع وتمام بن تميم وسليمان بن حميد الغافق وابن الجارود ومن إليهم ، فهؤلاء هم عرب إفريقيا الذين دخلوها أيام الفتح واستقروا فيها ، ونشأ فيها أبناؤهم يرون أنفسهم أهل البلد وأولى بحكمه من الولاة الذين ترسلهم الخلافة وجندهم ، وهذه الحقيقة تكشف لنا سر هذا الصراع وسببه . وقد انضم إلى أولئك العرب الأفارقة جماعات من البربر ، لأنهم كانوا أقرب إليهم من الولاة وجندهم .

(٢) كان عمران بن مجالد ثائراً على دعوة بني العباس ، وكان هو وجنده كارهين لها ، حتى كان أصحابه يهتفون أثناء قتالهم مع جند إبراهيم بن الأغلب : « بغداد ، بغداد ! فلا واه لا اتخذنا لكم طاعة بعد اليوم أبداً » (النويري : ١٣٥ - ١٣٦) ، ولهذا فهو يدعو ابن الأغلب هنا إلى خلع السواد إشارة للخروج على بني العباس . وكان عمران من رؤساء الجند ، وكان أول =

وسوف تعلم أن الموت يسمعُ لي إذا التقت بنواحي الفحص^(١) خَيْلَانَا
 فلما قرأ إبراهيم كتابه كتب إليه :
 « من إبراهيم بن الأغلب إلى خريش رأس الضلال .
 سلامٌ على من أتبع الهدى ، أما بعد

فإن مثلك مثل البعوضة التي قالت للنخلة إذ^(٢) سقطت عليها : « استمسيكي
 فإني أريد الطيران ا » فقالت النخلة : « ما شعرتُ بسقوطك فيكربني
 طيرانك » . فأما انتظارك في الحرب فناء ، فلو لم يبقَ في المغرب من أهل الطاعة
 غيري ما وصلت أنت في من معك بخلافكم إليه ، ولرجوت أن أظفر بكم بطاعتي
 ونصرة دولة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ؛ فكيف وعندي من شيعته وأبناء
 أنصاره من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي ؟ وأما ما ذكرت عن عليّ
 ابن أبي طالب رضوان الله عليه ، فذاك أمر غاب عنك . وإن كان كما ذكرت
 فليست منهم ، لأن أهل الملة خلافهم خلاف هدي^(٣) في نعمة على جور ،
 وخلافكم خلاف فرقة دين وشقّ غصا المسلمين ، ونقمتهم ما هو لله رضا .
 وستعلم أنت وأصحابك إن لقيناكم غداً أنا سنتبعمكم ، وإن صبرتم أنا سنغفنيكم .

= الأمر من أنصار إبراهيم بن الأغلب ، ثم اختلف معه في خبر يحكيه التويري بالتفصيل ملخصه
 أن عمران سار مع إبراهيم مرة يحدّثه مسافة طويلة ، ثم تبين أنه سار عن كلامه ، فنضب ، ثم
 كانت الحرب بينهما ؛ وهو سبب فيما يبدو لنا تافه . والحقيقة - كما تستبين من ثانيا الحوادث -
 أن إبراهيم بن الأغلب لم يجد مالا ليؤدي أرزاق جنده ، فبعث - فيما يبدو - يطلب مدداً من
 الخليفة ، فتأخر . وفي أثناء ذلك فكر عمران في خلع الطاعة ، ودعا ابن الأغلب إلى أن يفعل
 فعله ، فأبى ، فكان الخلاف .

(١) المراد فحص تونس ، وهو السهل المحيط بها .

(٢) الأصل : وسقطت عليها ، وما أثبتناه أوفق للمعنى .

(٣) في الأصل : هوى ، وقد قومتاه للمعنى .

وأما ذكرك الفحص فإن تركتك حتى تصير إليه فأنا في مثل جلدك»^(١)
وكتب إليه :

بَلَّغْ خُرَيْشًا بَأْنِي سَوْفَ أُصْبِحُهُ كَأَسَا سَيَقْرَعُ مِنْهَا سِنَّ حَيْرَانَا
تُهْدِي الطَّعْمَانَ لَهُ سُمرٌ مُنْقَفَةٌ تَقْرِي أَسْنَتَهَا فِي الْحَرْبِ أَعْدَانَا
مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ يَنْتَالُ النُّفُوسَ بِهِ يَضْحَى بِهِ مِنْ دَمِ الْأَجَافِ مَلَانَا
وَسَوْفَ تَعْلَمُ هَلْ أَلْتِي السَّوَادَ إِذَا أَرْسَتَ إِلَيْكَ الْمُنَايَا حِينَ تَلْقَانَا
إِنِّي سَأَهْدِي إِلَيْكَ الْمَوْتَ فِي عَطْبٍ فَاشْرَبْ مِنْتَهُ مِنْ كَفِّ عِمْرَانَا

ثم بعث إلى عمران بن مجالد^(٢) يحضه على قتاله ولقائه قبل خروجه من تونس ، وأوصاه بما يعمل . فلقى عمران بسبيخة تونس ، فانكشف خريش [٣٠ هـ] وأصحابه وقتل ، ودخل عمران تونس يتبعهم ويقنلهم حتى أفنهم / وكان خروجه سنة ست وثمانين ومائة .

٣٥ - عمران بن مجالد بن يزيد الربيعي

ثار على إبراهيم بن الأغلب ، وكان قبل ذلك في طاعته ومناصحته ، وحضر معه قتال تمام بن تميم ، وخرج نائباً عنه لقتال خريش بن عبد الرحمن المذكور آنفاً . ولما قوى أمره أتى بسكره حتى نزل بين القيروان وبين قصر إبراهيم ،

(١) الأصل : جلدك . وابن الأغلب يريد أن يقول أنه إذا تركه يصل إلى فحص تونس أصبح مثله ، ولهذا أصلحتها إلى « جلدك » وكذلك فعل ماركوس مولرويوز أن يكون : حالك
(٢) في الأصل : مجاهد ، وهو خطأ كما ستري في ترجمته التي تلى هذه الترجمة . وهو عند ابن خلدون : عمران بن مجالد (٤ / ١٩٦) وعند النويري : ابن مجالد ، وفي نسخة : مُخَالِد (ص ١٣٥) وعند ابن الأثير : ابن غلد (ج ٦ ص ١٠٧ من طبعة دار نشر بيا وبسال بالسوید) .

وصارت القيروانُ في يده . وبعث إلى أسد بن الفرات ليخرج معه فأبى أسدٌ وتمارض ، فبعث إليه : « إما أن تخرج وإلا بعثتُ من يجر برجلك ! » فقال أسد : « والله لئن أخرجتني لأناديينَّ في الناس : القاتل والمقتول في النار ! » فتركه عند ذلك .

وخندق إبراهيمُ حول مدينته^(١) ، ودامت الحرب بينهما سنة . ثم ضعف عمران فهرب إلى ناحية الزاب ، وسأل الأمان — هو وعمرو بن معاوية وعاصم ابنُ المعمر — من إبراهيم ، فأجابهم إلى ذلك .

وبقي عمرانُ بالزاب إلى وفاة إبراهيم ومصيرِ الأمر إلى ابنه أبي العباس عبد الله ، فكتب إليه عمرانُ يسأله تجديدَ الأمان فأمنه وأسكنه القصرَ معه ، وكان يندو عليه ويروح إلى أن سُميَ به ، وقيل لعبد الله : « هذا نار على أريك وحاله حاله » . فبعث إليه في الظهيرة ، فلم يشكَّ في الشر . وكان عبدُ الله قد قال لمولاه له : « إذا وردَ عليَّ وهو مشغل بالنظر فلا يشعُرْ إلا وقد رميتَ برأسه » ، فكان ذلك على ما حدّته . وكان يحيى بنُ سلامَ الفقيهُ صاحبُ التفسير قد سَفَرَ بينهما في الأمان على ماله ونفسه وولده ، فلما قتله وجدَّ لذلك وقال : « لا أسكن بلدًا أخفِرَ فيه الهدى على يدي » ، فخرج إلى مصر ثم مضى إلى مكة فحج ، ورجع فلم يلبث إلا يسيراً حتى اعتلَّ ومات ، ودُفن بمصر سنة مائتين . ومن شعر عمران في حرب إبراهيم بن الأُغلب مع تمام بن تميم ، وقد برز من الصف :

(١) مدينته هي القصر القديم قرب القيروان . وهي حصن ابتناه إبراهيم بن الأُغلب لينتقل إليه مع أهله وجنده وحشمه ، إذ كان يخشى أجناد العرب والخراسانيين لكثرة ثوراتهم على الولاة قبله . وقد بدأ إبراهيم بن الأُغلب في شراء الصقالبة والمماليك حتى كَوَّن منهم جيشاً ، ثم انتقل إلى ذلك الحصن الذي عرف بالقصر القديم ، وأنشأ حوله قصوراً أخرى ومسجداً ومسكواً بخنده . وابن خلدون يسميه العباسية (١٩٦/٤) .

يا رُسُلَ الموتِ أنا عمرانُ أنا الذي أتم له أعوانُ
تُصَعِّقُ من خِيفَتِي الفِرسانُ يضحكُ عن أيمانِ الزمانِ
نَحْنُ ضربنا الناسَ حتى دانوا نَقْتلُ أهلَ النَّكثِ حيثُ كانوا
نُفْرَجُ إليه رجل من أصحاب تمام وهو يقول :

ارْجِعْ على ظَلَمِكَ يا عمرانُ قد جاءكَ الموتُ له تَهْتَانُ
/ يَسْفِيكُهُ مِنْ راحتي سِفَانُ والظنُّ يجلو شكهُ العِيانُ
فشدَّ عليه عمرانُ فطعنه في مُنْدُوتِهِ فبدا عاملُ الرُّمَحِ من خلفه .

[١-٢١]

٣٦ - عامر بن المعمر بن سنان التيمي ، تيم الرباب (١)

كان على شرطة إبراهيم بن الأغلب ، ثم ثار عليه مع عمران بن مجالد
وعمر بن معاوية ، والرئاسة منهم في تلك الثورة لعمران ، إلى أن استأمنوا
جميعاً إلى إبراهيم فأنهم . وكان عامر على قسطلية والياً ، وهو القاتل فيما وقع
بين محمد بن مقاتل وتمام بن تميم من الحرب وقيام إبراهيم بن الأغلب بنصرته :
إذا كُرْبَةٌ شَدَّتْ خِنَاقَ مُحَمَّدٍ فليس لها إلا ابنُ أَعْلَبَ فَارِجُ
أناه بتمام على بأسه به يُقَادُ وقد ضاقت عليه الحارج
وقد كان بالإسراف التي سواده ولم تحتلج في الخلاف الخوالج

(١) يريد أنه من تيم الرباب بن عبد مائة لا من تيم بن مرة أو تيم بن ثعلبة بن عكابة بن
حصب أو تيم الأورم بن غالب .

فماجله بالكيد حتى استضادهُ وأذركه من بعد ما قيلَ خارجُ
ولو أنه يستودعُ الشمسَ نَفْسَهُ إِذَا وَجَلَّتْ مِنْهُ عَلَيْهِ الْوَلَانِجُ
وله في خروج خُرَيْش بن عبد الرحمن بتونس :

لولا دفاعك يا ابنِ أَغْلَبِ أَصْبَحْتُ أَرْضُ الْغُرُوبِ رَهِينَةً لِفَسَادِ
وَلَمَمْنَا ذَاكَ الْخِلَافُ بِفِتْنَةٍ تَمْدُو كِتَابَهَا بِقَبْرِ سَوَادِ
قَالُوا غَدَاةَ لِقَائِهِمْ : لَا تَنْتَنِي حَتَّى نَحُلَّ « أُنْخَلَدَ » مِنْ بَعْدَادِ
فَمَنُوا بِأَشْوَسَ مَا نَزَالُ جِيَادُهُ تَشْكُو الْوَحَى مِنْ غَارَةٍ وَطِرَادِ
نَفَرْتُ بِهِ سَعْدٌ فَأَصْبَحَ بَيْتُهَا فَوْقَ الْفِرَاقِدِ ثَابِتَ الْأَوْتَادِ
ومن ولد عامر هذا حمزة بن أحمد بن عامر بن المعمر ، كان أديباً ظريفاً .

وأما أبوه المعمر بن سِنَانٍ فَقَدِيمٌ مَعَ يَزِيدِ بْنِ حَاتِمِ الْمُهَلَّبِيِّ فِي وِلَايَتِهِ إِفْرِيْقِيَّةً ،
وَكَانَ زَمِيلَهُ فِي طَرِيقِهِ إِذَا رَكِبَ فِي عَمَارِيَّتِهِ ، لِأَنَّهُ بِهِ وَاسْتَمَاعِهِ مِنْ حَدِيثِهِ . / [٢١-ب]
وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَوَقَائِعِهَا وَأَشْعَارِهَا ، وَعِنْدَهُ أَخَذَ أَهْلُ
إِفْرِيْقِيَّةِ حَرْبَ غُظْفَانَ وَغَيْرَهَا مِنْ وَقَائِعِ الْعَرَبِ .

٣٧ - حمزة بن السبال

المعروف بالحرور

أحد رؤساء القواد وشجعان الأجداد ، وكان له من إبراهيم بن الأغلب آثرٌ
مكانٍ والطفٌ محلٍّ ، لِقَدِيمِ مُحِبَّتِهِ إِيَّاهُ وَتَصَرُّفِهِ مَعَهُ حَيْثُ تَصَرَّفَتْ حَالُهُ ،
فَسَكَانَ لَا يَدَانِيهِ عِنْدَهُ أَخٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَا أَحَدٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ . وَكَانَ وَالِيًّا عَلَى طَبْنَةَ ،

ووجهه إلى الرشيد في القواد المتوثبين على الولاية بالقيروان [...]^(١) ولده
ولد إبراهيم يتولون لهم [...]^(٢) إلى قيادة إلى عمالة حتى انقضت دولة
بني الأغلب . ومن شعره في إيقاعه بالمذكورين فيه^(٣) :

سائلٌ بأبراسي عَنَّا وَوَقَمْتَنَا لَمَّا صَبِينَا الْقَنَا نَحْوَ ابْنِ مِرْدَاسِ
وَلَّى وَحَلَّى سَمِيداً رَهْنًا نَافِذَةً مِنْ طَمَنِ أَرْوَعَ لِلأَرْوَاحِ خَلَاسِ
فَإِنْ يَتُوبُوا فَقَدْ ذَاقُوا وَقَانَعَنَا وَإِنْ يَعُودُوا نَعْدُ أُخْرَى مِنَ الرَّاسِ
وله في حرب خريش الخارج على ابن الأغلب :

إِنْ غَابَ إِبْرَاهِيمُ عَنَّا أَوْ حَضَرَ فَإِنِّي أَنْصُرُهُ فِيمَنْ نَصَرْتُ
وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَّا بِظَفَرٍ لَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ إِلَّا بِقَدَرٍ
وَكُلُّ مَنْ خَافَنَا فَقَدْ كَفَرَ

فجعل ما يشدُّ على ناحيةٍ إلا هدَّها . وبرز فارس من عسكر تمام بن تميم
في خلافه وهو يقول :

إِنْ ظَفَرْتُ كَفَّتِي بِإِبْرَاهِيمِ هَدَدْتُ رَأْسَ الْعَزِّ مِنْ تَمِيمِ

(١) بياض بالأصل . ومن اليسير أن نسد هذا الفراغ ونقرأ العبارة هكذا : « [ثم خدم]
ولده ولد إبراهيم يتولون لهم [من ولاية] إلى قيادة إلى عمالة » .

ويلاحظ أن إبراهيم بن الأغلب بعد أن صار إليه الأمر أراد أن يبعد عن إفريقية كل من
كان يخشى انقلابه عليه من وجوه العرب والقواد ، فأرسلهم إلى بغداد حيث سجنوا هناك ،
ومن بينهم حمزة هذا مع أنه كان صديقه . أما أولاد حمزة فاشتهر منهم محمد بن حمزة في حروب
أبي محمد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب مع منصور الطنبي . وقد قتل حمزة في شهر صفر
٢٠٩ / مايو ٨٢٣ في معركة حامية مع الطنبي ورجاله في تونس .

(٢) لم أستطع تقويم هذا اللفظ ، وهو غير مفهوم . وقد جعله مولر « بالمذكورين
فيه » وهو تقويم مقبول على اعتبار أن المراد : المذكورين في هذا الشعر .

فلما سمعه إبراهيم نادى حمزة : « يا حمزة ، اخرج إلى هذا الكلب ! »
فخرج إليه وهو يقول :

أحلف بالركن وبالخطيم ما فيكم كفو لإبراهيم
ليصبحنَّ اليوم كالصريم.

ثم شدَّ عليه فقتله .

٣٨ - إبراهيم بن محمد الشيعي

/ من أبناء أهل خراسان ووجوه أصحاب إبراهيم بن الأغلب ، وكان أقرب [٢٢-١]
الناس إليه في [... ..]^(١) الداعية أهل خراسان ثم أهل الشام ثم أهل
البلد^(٢) ، وأنفذه رسولا إلى الرشيد وبمث صحبته برسل بهلول بن عبد الواحد^(٣)
المدغري ، فدخلوا عليه في اليوم الثالث من قدومهم بغداد . واستأذن الشيعي^(٤)
هذا في الكلام بمد أن قال : « يا أمير المؤمنين ، رسولُ سيفك [... ..]^(٥)
دولتك إبراهيم بن الأغلب » ، فأذن له على إثر هذا الخطب [... ..]^(٤) . وكان

(١) بياض بالأصل ، نستطيع أن نسده بقولنا : في [قتال] الداعية . والداعية المشار
إليه هنا هو إدريس بن إدريس بن عبد الله الحسني ثاني أمراء الأدارسة بفاس . وكان بين الأدارسة
والأغلبة تنافس وصراع ، وقد رأينا أن إبراهيم بن سالم بن الأغلب كان من المهتمين بقتل
إدريس الأول .

(٢) هذه العبارة على أكبر جازب من الأهمية التاريخية ، فهي تلقي ضوءاً واضحاً على
تكوين القوة العسكرية للأغلبة ، وقيمة كل فريق من الفرق التي كانت تكونها . ويضاف إليهم
فرقة من العبيد السود كانوا هم الحرس الخاص لإبراهيم بن الأغلب وبنه من بعده .

(٣) يستحسن أن تقرأ هنا : وبعث صحبته برسل [منهم] بهلول بن عبد الواحد المدغري .

(٤) بياض بالأصل ، لا يعسر تصور ما ينبغي أن يكون فيه .

بليغاً مدركاً ، وهو القائل في مجلس ابن الأغلِبِ بالقَيروان وبدار الإمارة منها عند قدومه لمحاربة تمام بن تميم بعد محاورة حسنة :

لولا ابن أغلِبَ أضحتى الغربُ ليس به عدلٌ ولا لبني العباسِ سلطانُ
عمِّ الخِلافِ قلوبَ القومِ فابتدعوا إلا خصائصَ أدنّها خُراسانُ
جلا ابنُ أغلِبَ عتاً كلِّ مُظلمةٍ فيها المُطِيعُ بِسُكْرِ الخوفِ حيرانُ
كادتُ شياطينُ تمامٍ تَرِدَنَّ بنا بحرَ الضلالةِ والتمائمِ [شَيْطَانُ] (١)

٣٩ - عمرو (٢) بن معاوية القيسي

هو من ولد عُمر بن الحباب السَلَمي أحد فرسان قيس وساداتها الأربعة في الإسلام ، وم : عبد الله بن حازم (٣) والجحاف بن حكيم ، وعُمير بن الحباب المذكور ، وزُفر بن الحرث . وكان عمرو بن معاوية [يتولى] (٤) ناحية القصرين من إفريقية ، وخرج على إبراهيم بن الأغلِبِ مع عمران بن مُجالد ، وكان وزيره الغالب عليه في أموره . ثم خرج ثانيةً على ولده زيادة الله بن إبراهيم - وكان قد ولّاه القصرين وما إليهما - فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخِلاف ، فلما ظفر به زيادة الله قتله وولديه الحباب وسكتان (٥) ، ودعا أهل بيته فشرّب معهم ورؤوسهم بيث يديه ، ففضب لهم منصور بن نصر الجشمي (٦) المعروف بالظُّبُذِي - وكان عاملاً على طرابلس - وتابَعَه الجندُ ، فاضطربت إفريقية

(١) بياض في الأصل .

(٢) في الأصل عُمر ولكنه في بقية النص عمرو فقومته على هذا النحو .

(٣) عن عبد الله بن حازم السلمي انظر الكامل للمبرد ١ / ٢٤١ .

(٤) أنسفت هذه الكلمة للسياق ، مستعيناً بما سيأتى بعد .

(٥) سبق أن علقنا على هذين الاسمين . انظر فهرس الأعلام .

(٦) كذا في الأصل ، وربما كانت أيضاً : الجشمي .

على زيادة الله وحُصِرَ في قصره ، ولم يبق في يده إلا الساجلُ وقابس^(١) / إلى أن [٣٢ - ب] قتل منصور واستأنس [. . .]^(٢) إلى زيادة الله وصَفَّتْ له إفريقيةُ واستقامت بعد حروبٍ طويلةٍ وخطوبٍ جليلةٍ .

ومن شعر عمرو بن معاوية ما حُكِيَ أن بعض أصحاب تمام بن تميم — يومَ التقى هو وإبراهيم بن الأغلب ، عند خروج تمام على ابن العكبي — برز من الصف وهو يقول :

اليومَ نسقيك سِوَى المُدَامِ — بالببيض يَهْوَى حَدَّهَا بِالْهَامِ —
حتى تُخَلُّوا الغربَ لِلتَّامِ —

وبرز إليه عمرو وهو يقول :

من مُبَاعٍ قولى إلى التَّامِ — خَلْفًا رِبَّ الحِلِّ والحرامِ —
إلك محمول على الصَّمَامِ — وقد تَلَاقَت حَلَقُ الحِزَامِ —
ثم شد عليه فأرداه عن فرسه .

٤٠ — بهلول بن عبد الواحد المدغرى

كان رئيساً في قومه ، وهو قام بأمر إدريس بن إدريس الحسنى صاحب المغرب ، ثم تغير عليه وفارقه ورجع إلى إبراهيم بن الأغلب عند ظهوره على إفريقية ، وذلك بتلطُّف إبراهيم في إفساد ما بينه وبين إدريس ، فخرت بينهما مكاتبات كان في بعضها مما كتبه البهلول إلى إبراهيم :

(١) الأصل : وفاس ، وهو تحريف من الناسخ .

(٢) بياض في الأصل ، والمعنى مستقيم دون زيادة شيء .

لئن كنت تدعوني إلى الحق ناصحاً
 لقدما أتانا عنك أنك ناصحٌ
 وأنت محمودُ النقائبِ عندهم
 فمَجَلُّ على رَدِّ رأيي فإنني
 لَتَكشَفَ عن قلبي ضميرَ خلافِ
 لَمَنْ قال بالصلحِ الخِلافَةَ كافِ
 تُزَيِّنُ ما تأتي لهم بـعِفافِ
 أُرِدُّ الهوى للحقِّ حين يُوافي
 فجاوبه إبراهيم بقوله :

عرضتُ على البهلول ما إن أصابهُ
 ليركبَ نهجَ الحقِّ، والحقُّ واضحٌ
 فلا تُتْرَكُنْ رُشدَ الهدى لضلالةِ
 / ويايغِ لهارونَ الإمامِ بطاعةِ
 تَمَوَّضُ مِنْهُ طاعةً بخلافِ
 ونهيجُ العسى وعرُّ المسالكِ عافِ
 كُـمُـسـتـبـدِـلِ رَنُقَ الشَّرابِ بـطافِ
 تجده على الإسلامِ خيرَ مكافِ